الفصل الثاني

أحوال الراوي والرواية

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: الحفظ والكتابة عند المسلمين.
- المبحث الثاني: أحوال الرواة.
- المبحث الثالث: أحوال الرواية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

أحوال الراوي والرواية

المبحث الأول

الحفظ والكتابة عند المسلمين

تمهيد:

قبل الدخول في الموضوع هناك بعض المصطلحات ذات الصلة بهذا الشأن تحتاج إلى البيان والتوضيح مثل الرواية، الحفظ، فما معنى هذه المصطلحات ؟

١ـ الرواية لغة واصطلاحا:

الرواية لغة تأتي بعدة معان منها:

حمل الحديث والشعر ومنه قولهم : هو راوية الحديث، وروى الحديث: حمله.

وكذا روى فلان حديثاً وشعراً يرويه رواية فهو راو فإذا كثرت روايته: قيل هو راوية والهاء للمبالغة.

وبمعنى الاستقاء، تقول: رويت على أهلي ورويت لهم ورويتهم: استقيت لهم.

ومنه يوم التروية لليوم الذي قبل عرفة لأن الناس يتزودون فيه الماء.

وبمعنى: المزادة فيها الماء والبعير، والبغل، والحمار يستقى عليه.

ونفهم من جملة ذلك بعد إخراجه من المعنى العام إلى المعنى الخاص بأنه: حمل الحديث والعناية به[1].

---

(١) ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ ١٠٦٦م) المخصص، دار الفكر، مجلد ٢ جزء ٩ ص ١١٢.

الأزهري: تهذيب اللغة ١٥/ ٣١٣ - روي - (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي -١٩٦٧م) الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ ١٤١٥م) القاموس المحيط، ترتيب الشيخ طاهر النزاوي الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس ١٩٨٠م ٢/ ٣٨٩ (روي)، الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٤ م ١/ ٣٨٣ - ٣٨٤ (مادة روي)

obeikandi.com

وفي الاصطلاح: حمل الخبر والعناية به وبهذا يلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي في هذا المصطلح.[١]

٢ـ الراوي: هو الحامل للخبر وناقله مطلقاً، سواء أكان صادقاً أم كاذباً[٢].

٣ـ معنى الحفظ: هو العلم بالشيء حالا بعد حال من غير أن يتخلله جهل أو نسيان، ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً[٣].

ظاهرة الحفظ عند المسلمين:

١ـ الحفظ خاصية أمة الإسلام:

إن المتتبع لتاريخ الإسلام - من غير المسلمين - حينما ينظر إلى كتب: التاريخ، والتراجم، والطبقات، والفقه، والحديث، والأدب، والشعر، وما يجد فيها من الروايات حول حفظ المسلمين للأعداد الهائلة لأحاديث النبي ﷺ، أو الأبيات الشعرية، أو المسائل اللغوية، أو غيرها، قد يَعدُّ المسلمين مبالغين في هذا الأمر، وذلك حقهم، لأنهم أمم لم يهتموا بالحفظ ولم يختصوا بذلك.

وربما لو رأى أحد منهم أحد المسلمين يَعُدُّ من نسبه؛ عشرة من آبائه وأجداده، لاستكثر وعظم ذلك في عينه، لأنه - غالباً - لا يستطيع مثله، أن يذكر أربعة من آبائه !.

اهتمت أمة الإسلام بعقيدتها، وحضارتها، وأنسابها، اهتماماً عظيماً، لم يسبق لأي أمة قبل، ولا يمكن لها بعده، أن يشابهها، أو يقاربها.

بل المسلمون هم الذين دونوا تاريخ الحضارات القديمة كالرومان والفرس[٤] ولم يستطع هؤلاء تدوين تاريخهم وحضارتهم بأنفسهم، رغم امتلاكهم ناصية الحضارة لعشرات القرون من الزمن.

ولهذا فإن الله خص هذه الأمة لأنها أمة خاتم النبيين محمد ﷺ بحفظ شريعته وهيأهم لذلك، لكي يبقى دينه أبد الدهر محفوظاً.

---

(١) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص٣١.

(٢) ينظر: لسان العرب١/ ١٢٦٣.

(٣) ينظر أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة - بيروت ص٨٥.

(٤) ينظر جواد علي: موارد تاريخ الطبري ١/ ٥، ناجي معروف: المدخل في تاريخ الحضارة العربية، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٣٧٩هـ ١٩٦٠ م ص١٤٤، غربال: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٨١.

وللبرهان على صدق ما نذهب إليه، نسأل كم من اليهود والنصارى حفظوا أو يحفظون التوراة والإنجيل؟ أو بعبارة أخرى هل هناك من حفظ التوراة أو الإنجيل على مدى عشرات القرون من أهل الكتاب ؟ (١).

الجواب لا شك معروف، أنه لم يكن أحد من أهل الكتاب اهتم بهذا الشأن، أو فكر فيه أصلاً !.

لكن لو سألنا، كم حفظ من المسلمين القرآن الكريم، أو كم حفظ منهم من أحاديث الرسول؟

لتجد الجواب، مما يذهلك ويدهشك، بأنهم ملايين قديماً وحديثاً(٢)، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنهم أمة هيأهم الله تعالى وخصهم وميزهم في هذا الشأن دون غيرهم من الأمم، وأنهم أمّة خاتم النبيين.

---

(١) يذكر ابن عساكر رواية عن حمزة الزيات أحد القرّاء المشهورين ما يلي قال:

"خرجت إلى الجبانة (أي المقبرة) فإذا براهب قد أقبل من نحو الحيرة فسلم ثم قال أنت حمزة الذي تقرئ الناس غدوة وعشية قلت نعم قال ما أثر فيك القرآن والله إن الله ليعلم أني أريد أن أقرأ سفراً من الإنجيل منذ عشرين سنة فإذا علمت أنه نزل من عند الله يكاد قلبي يتصدع فلا أقدر أن أقرأه يا حمزة لقد فضلتم على جميع الأمم بحفظكم كتابكم فلا تطفئ المصباح فتدخل بيتك اللص قال لا تقطع الذكر فإنه نور القلب وكفاك بكلام الله واعظاً".

تاريخ دمشق ٥٧/ ١٢٧.

(٢) أحدث الأخبار تتحدّث أن في ليبيا الطاغية: معمر القذافي وفي عهده الظالم الذي ولّى ولا يعقّب هناك ما يقرب من مليون من الليبيين يحفظون القرآن ! وهذا في دولة واحدة لا يتجاوز سكانها خمسة ملايين من النسمة ! فما بالك ببعض بلاد المسلمين الذي يبلغ تعداده أكثر من ثلثمائة مليون نسمة ؟.

وكنت والحمد لله حفظت هذا الكتاب العظيم في السبعينيات هذا القرن، حين كان الإلحاد والظلم والكفر والشرك والإباحية، متفشياً ومنتشراً في بلاد العرب، بل وجميع بلاد المسلمين إلاّ من رحم ربك، وكان الشباب من أقراني ملتهين أما بالمتاهات والترهات أو الفسق والفجور، أو الإلحاد والانحراف، هداني الله بفضله ومنّه وكرمه، وسخّرني لحفظ كتابه، وحفظ أحاديث نبيّه، وفتون الفقة والعقائد والنحو والصرف، فكنت أرى نفسي بين الأنام غريباً في ذلك العهد المظلم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وقد تغيرت الأحوال والحمد لله، تغيّراً جذراً في التسعينيات القرن الماضي، وبدأ الناس يرجعون إلى دينهم وحفظ كتاب ربهم وسنّة نبيّهم، ولم ينقض القرن حتى كثر الحفاظ في جميع الآفاق في بلاد المسلمين، ولا زال الأمر بفضل الله في نماء وزيادة وخير.

إن الأبحاث العلمية والطبية الحديثة تؤكد أن باستطاعة المخ أن يخزن ويحفظ مئات من الكتب[١] والمجلدات.

ولا غَرْوَ في ذلك لأنه صنع الله، وإنما يختلف هذا الأمر من شخص إلى آخر، أومن أمة إلى أمة، وحيث أن أمة الإسلام وأهل العلم منهم خاصة، قد نموا هذه القابلية العقلية[٢] وغذوها بالمذاكرة والحفظ المستمر، وتقوى الله تعالى والحرص على العلم.

بينما الأمم الأخرى لم تهتم بهذا الجانب أبداً ولم نسمع أن أمة غير أمة الإسلام قد اهتمت بالحفظ.

لقد اهتم المسلمون بكتاب ربهم وسنة نبيهم، وبما يخدم هذين المصدرين بالحفظ والعناية والرعاية، عناية بالغة وحفظوا كتاب ربهم جيلاً بعد جيل كما أنهم حفظوا سنة نبيهم كذلك.

يروي لنا كتب التاريخ والسنة أن الأمام أحمد بن حنبل:

كان يحفظ ألف ألف حديث، وكذلك يحيى بن معين[٣].

وذُكِرَ عن صاحب كتاب (العوالي)[٤] أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الطبري الشافعي[٥] أنه قال[٦]: "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي".

---

(١) ينظر كنجو: خالص جلبي، الطب محراب الإيمان، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م ١/ ١٣٢ - ١٤٢.

(٢) ينظر: آن كريسي موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٥ م ص١٣٢-١٣٤، الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق اسعد، الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص١٤٤ -١٤٥.

(٣) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص١٨، ١٢٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص١٦٥.

(٥) من فقهاء الشافعية (ت ٥٠٢هـ) ينظر ترجمته: جمال الدين، يوسف بن فرغل البغدادي. سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، طبعة حيدر آباد - الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ٨ قسم ١ / ٢٩، ابن قاضي شهبة: أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي (ت ٨٥١هـ - ١٤٤٨م) طبقات الشافعية تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٢/ ٢٩٤-٢٩٥ (٢٥٦).

(٦) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨ قسم ١/ ٢٩.

وذكر أبو علي القالي[١]: عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري[٢] النحوي اللغوي، شيخه قال[٣]: "كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن".

ومن أجل ذلك نجد أن جمهور الصحابة والتابعين كانوا يشجعون الحفظ على الكتابة، وقد رويت روايات كثيرة في ذلك.

منها: أن أبا نضرة[٤] قال: قالوا لأبي سعيد الخدري[٥]: ألا نكتب ما نسمع منك ؟.

قال: أتريدون أن تجعلوها مصاحف ؟ إن نبيكم ﷺ كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ[٦].

وقال مالك[٧]: "ولم يكن القوم يكتبون، إنما كانوا يحفظون، فمن كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه".

يروي حميد بن هلال[٨]: عن أبي بردة[٩]، قال[١٠]: "كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فقمنا

---

(١) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون كردي (من قالي قلا)، قرب بحيرة وان في تركيا الحالية، أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب صاحب كتاب الأمالي (ت ٣٥٦هـ) ينظر الضبي: ابن عمير أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٤م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روحس - مجريط ١٨٨٤ م ص٢١٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦ - ٢٢٨ (٩٥).

(٢) (ت ٣٢٨هـ) ينظر: الأنباري: نزهةالألباء في طبقات الأدباء ص٣٣٠، ابن أبي يعلى: محمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ - ١١٣١م) طبقات الحنابلة، طبعة الفقى - مصر ١٣٧١هـ ١٩٥٢م ٢/ ٦٩

(٣) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٨٤٢، ابن عماد: المصدرالسابق ٢/ ٣١٥.

(٤) هو: المنذر بن مالك بن قطعة العبدي البصري، ثقة (ت ١٠٩هـ) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٢ - ٣٠٤ (٥٢٧)، ابن عماد: المصدر السابق ١/ ١٣٥.

(٥) هو: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري من علماء الصحابة، ومن الحفاظ المكثرين (ت ٧٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٨٩، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٥ (٣١٩٦).

(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٦.

(٧) المصدر نفسه ١/ ٧٧.

(٨) حميد بن هلال العدوي، أبو نصر البصري من جلة التابعين، ثقة عالم من الطبقة الثالثة لم أقف على تاريخ وفاته. يتظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٦١٦(٢٣٤٥)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٠٤ (٦١٥).

(٩) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه الحارث وقيل عامر، وقيل اسمه كنيته (ت ١٠٣هـ) على خلاف في ذلك، ينظر ابن حجر: الإصابة ٤/ ٨/ (١١٦) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٨ - ١٩ (٩٥).

(١٠) ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٩.

لنكتبها فقال: أتكتبون ما سمعتم ؟ قلنا نعم، قال: فجيئوني به، فدعا بماء فغسله وقال: احفظوا عنا كما حفظنا".

٢ـ أسباب الحفظ عند العرب قبل الإسلام:

هناك عدة أمور قد ساعدت العرب وساهمت في تنشيط ذاكرتهم واعتمادهم على الحفظ .

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التي بمثابة سجل تاريخي لهم[١] ومن هذه الأمور:

أ- بعد بلاد العرب عن مراكز الحضارة، وعدم انهماكهم في مشاغل وشؤون الحياة والحضارة، كما كان أهل الحضارات الفارسية والرومية والهندية وغيرها كانوا منهمكين في معترك الحياة[٢].

"أما الجزيرة العربية فقد كانت هادئة، بعيدة بل منعزلة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها، فلم يكن لدى أهلها من الترف والمدنية الفارسية ما يجعلهم يفتنون في خلق ومسائل الانحلال وفلسفة مظاهر الإباحية والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب من الدين.

ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم بالتسلط على أي رقعة من حولهم.

ولم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات.

كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تنصهر بعد في أي بوتقة محولة، فكانت تترائى فيها الفطرة الإنسانية السليمة "[٣].

فكانت لهذه البساطة والبداوة والبعد عن الحضارة وتعقيدات الحياة أثر كبير في أسباب حفظهم[٤].

---

(١) ينظر عجاج الخطيب: المصدر السابق ص١١.

(٢) ينظر الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م ٢/ ٨٦- ٨٧، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة السادسة الناشر دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م ص ٢٨. البوطي: محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، الطبعة السابعة، دار الفكر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م ص ٣٣-٣٥.

(٣) البوطي: المصدر السابق. ص ٣٣ - ٣٤

(٤) ينظر البشير: المصدر السابق ص١٢٦.

ب- طبيعة العقلية العربية: أنها أُمَّةٌ أمية كما ذكر القرآن الكريم ذلك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكما عبر عنه الرسول الأكرم ﷺ بقوله[(١)]: (إِنَّا أُمَّةٌ أمية، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ..) الحديث.

فأمة العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ولم يكن في الجزيرة العربية قبل الإسلام إلا عدد يسير ممن كانوا[(٢)] يقرؤون ويكتبون وهذه الصفة أيضاً غلبت حفظهم، وشجعتهم على حفظ الأيام، والشعر وروايتهم له حتى لا يكاد بطن من بطون العرب، ولا فخذ من أفخاذها يخلو من شاعر أو راو[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٢٠٠ (١٩١٣)، صحيح مسلم ٧/ ٤٥ (٢٥٦٣) وينظر أيضاً: (فتح الباري: ٤/ ١٢٦ (١٩١٣)، (شرح صحيح مسلم ٧/ ١٩٢)

(٢) ينظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٣١٥ - ٣١٦، المقريزي: إمتاع الأسماع، تحقيق محمود شاكر، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤١ م ١/ ١٠١.

زعم بعض المستشرقين أن وصف العرب (بالأميين) في القرآن الكريم يقصد به الجهل بالشريعة الإلهية، لا الجهل بالكتابة، والقراءة وسبب هذا الوهم هو خطأ بعض المفسرين لذكر رأي مرجوح ضعيف، حيث فرقوا بين أمية النبي ﷺ (بمعنى لا يقرأ ولا يكتب) وأمية العرب (بمعنى الجهل بالشريعة) وهذا أمر غير منطقي لا مسوغ له لغة ولا شرعاً، وهو تصور فارغ، أن يكون العرب أميون لجهلهم الشريعة الإلهية، وأما النبي فأمي نسبة إلى هؤلاء الجاهلين، لتعليمه إياهم شريعة الله، فهو نبي هؤلاء الجاهليين أو نبي هؤلاء الأميين !

فهل بعد هذين التفسيرين من تناقض ؟

والقرآن والسنة قد بينا ذلك - كما مر - وهو فهم جمهور علماء المسلمين سلفاً وخلفاً ولكن هناك مسالة وهي:

هل أن العرب جميعهم كانوا أميين ؟! أم القصد من هذا الوصف هو من باب التغليب، والذي نرجحه هو الرأي الثاني، والدليل على ذلك وجود الكتابة قبل الإسلام في قريش وفي الأطراف الشمالية للجزيرة العربية.

ينظر: الطبري: جامع البيان لأحكام القرآن ١/ ١٩٦، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ قسم ١ ص ١٤، السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الروض الآنف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة ٢/ ٩٢ -١٠٠. الأسد: ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ م ص ٢٤-٣٢، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٩٥ - ٢٩٧، العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية، وأبعاده الحضارية ص ٢٣ (لكنه ذهب إلى رأي المستشرقين)، صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٥ - ١٦.

(٣) ينظر البشير: المصدر السابق ص١٢٦، هارون: عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة الثانية، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ م ص٩.

ج- ومن تلك الأسباب الصفة المعنوية عند العرب.

يقول مصطفى صادق الرافعي[١]:

"إن العرب قوم معنويون ...ولهذا كان لا بد لهم في أصل الخلقة من الحوافظ القوية التي ترتبط بمآثر تلك النفوس ارتباطا" [٢].

وفي الحقيقة، لم يكن العرب وحدهم، هم المخصوصون، بهذا الوصف، بل إن جل المسلمين، بجميع شعوبهم وقومياتهم، قد شاركوا إخوانهم العرب المسلمين في ذلك، ولا يعبر ذلك إلا عن جاهل، أو متجاهل بتاريخ الإسلام !.

٣- نوادر الحفظ وعجائب الحفاظ:

إن من يتابع قراءة كتب التراجم، والتاريخ ليرى عجائب أهل الإسلام في الحفظ والإتقان، واعتناءهم بحفظ الآثار، ومحبتهم لنبيهم ﷺ واهتمامهم بشريعتهم، كما أن هذا الحفظ النادر الوجود يعكس صورة واضحة لاهتمام المسلمين بالأخبار ودقة نقلها وتحمل المشاق من أجلها.

يقول الزهري[٣]:

"ما استودعت قلبي علما فنسيته ".

وذكر الذهبي [٤]:

"أن هشام بن عبد الملك[٥] سأل الزهري أن يملي على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربعمائة حديث. وخرج الزهري فقال:

أين أنتم يا أصحاب الحديث فحدثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال للزهري:

---

(١) هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق، شاعر، ، من أحسن كتاب هذا العصر (ت ١٣٥٦هـ) ينظر الزركلي: الأعلام ٨/ ١٣٧

(٢) الرافعي: تاريخ آداب العرب، طبعة - مصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢هـ ١/ ٢٧١

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٦٤، ويظهر كذلك الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٩.

(٤) الذهبي المصدر السابق ١/ ١١٠.

(٥) هشام بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أمية (ت ١٢٥هـ) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٨/ ٢٨٣، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٣

إن ذلك الكتاب ضاع، فدعا بكاتب فأملاها عليه، ثم قابل بالكتاب الأول، فما غادر حرفا واحداً ".

ومن عجائب حفظه أنه [١]: "حفظ القرآن في ثمانين ليلة ".

و مما روي عن إسحاق بن راهويه يقول[٢]:

"كأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفا أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق من حفظه أحد عشر ألف حديث ثم قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً".

ذكر الذهبي عن البخاري[٣]:

"أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح".

وذكر أيضاً عنه أنه [٤]:

"كان يختلف مع حاشد بن إسماعيل[٥] وآخر إلى السماع وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أياماً فكنا نقول له فقال: إنكما قد أكثرتما علي فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد ".

ومنهم قتادة بن دعامة[٦] يقول قتادة[٧]:

"ما قلت لمحدث قط: أعد علي، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١٠.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٤.

(٣) أبو يعلى: الخليل بن عبد الله (ت ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م) الإرشاد، تحقيق محمد سعيد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ ٣/ ٩٦٢، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٥٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٦، وينظر كذلك ابن حجر: مقدمة فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ ص ٤٧٨.

(٥) حاشد بن إسماعيل البخاري، إمام ثبت (ت ٢٦١هـ): ينظر الذهبي: العبر في خبر من غبر ١/ ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٦) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير، الحافظ المفسر (ت ١١٨هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ - ١٢٤ (١٠٧) الداودي: طبقات المفسرين ٢/ ٤٧ - ٤٨ (٤١٥)

(٧) المصدر نفسه ١/ ١٢٣، وجابر هو: ابن عبد الله بن عمرو بن خزام الأنصاري، صحابي جليل من أصحاب العقبة الثانية (ت ٧٤ - ٧٨هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٢١ - ٢٢٢، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢١٢ (١٠٢٦)

وقال الإمام أحمد: قرأت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها "[١].

وقال شعبة [٢]:

"قصصت على قتادة سبعين حديثاً كلها يقول فيها: سمعت أنس بن مالك إلا أربعة".

ومن هؤلاء الحفاظ ابن الجعابي أبو بكر التميمي[٣] يقول[٤]:

"دخلت الرقة وكان لي ثم قمطر[٥] من كتب فجاء غلامي مغموماً وقال: ضاعت الكتب قلت يا بني لا تغتم، فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علي حديث منها لا إسناده ولا متنه".

ويقول أيضاً[٦]:

"أحفظ أربعمائة ألف حديث، وأذاكر لست مائة ألف حديث".

ومنهم أبو زرعة يقول[٧]:

"إن رجلاً استفتاه أنه حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال تمسك بامرأتك. ويقول أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث".

الرحلة في طلب الحديث:

تمهيد:

الرحلة لغة: من رحل الرحل وجمعه أرحل ورحال، وهو مركب للبعير والناقة. وقال الأزهري: فقد صح أن الرحل والرحالة من مراكب الرجال دون النساء.

والرحلة اسم للإرتحال للمسير.

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٢٢.

(٢) الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٢٣.

(٣) هو: محمد بن عمر بن محمد، من كبار الحفاظ، رافضي، فاسق، رقيق الدين، اختلط بآخره، أحرق كتبه قبل موته (ت ٣٥٥هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد: ٣/ ٢٦ - ٣١ (٩٥٣)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٠ - ٦٧١ (٨٠٠٦)، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢٥ - ٩٢٩ (٨٨١)

(٤) الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٢٦.

(٥) القمطرة: ما يصان فيه الكتب. ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٥٥١ (ق م ط ر).

(٦) المصدر نفسه ٣/ ٩٢٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٠.

(٧) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧.

obeikandl.com

والراحلة من البعير القوي على الأسفار بالأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه[١].

فهذه المعاني كلها تدل على السفر والانتقال من مكان إلى مكان.

وفي الاصطلاح: هو الرحلة في طلب العلم عامة، وعلم الحديث خاصة، سواء من أجل حديث واحد أو أكثر[٢].

١ـ الرحلة في طلب الحديث وتاريخه[٣].

لم يعرف تاريخ البشرية أمة من الأمم اعتنت بقول نبيها أو عظيماً من عظمائها اعتناء المسلمين بقول نبيهم ﷺ، حفظاً، وكتابة، وشرحاً، وتفسيراً، ورحلة من أجله، وبيان الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منه.

فمن العلماء: من عمل إلى نقل ما استطاع مما تلقاه، مسنداً إلى رسول الله ﷺ.

ومنهم: من جمع الصحيح من أحاديثه ﷺ دون غيرها، كالصحيحين وصحيح ابن خزيمة[٤] وصحيح ابن حبان وغيرها.

ومنهم: من جمع كل حديث صحابي على حدة فجمع ما رواه أبو بكر الصديق وجعله وحده، وهكذا ما رواه كل صحابي، من غير نظر إلى ترتيبه حسب الأبواب الفقهية.

---

(١) ينظر ابن منظور: اللسان ١/ ١١٤٠ - ١١٤٢.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص١٥ (مقدمة المحقق)، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ م ص ٣١، ٣٨. وينظر ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، طبعة دار الجيل - مصر ١/ ٣٧.

(٣) للرحلة فوائد جليلة وقد لخصها الإمام الشافعي في قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي- بيروت ١٩٧٠ م ٢/ ٢٦، الزعبي: محمد عفيف، ديوان الإمام الشافعي، دار النور - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م ص ٤١، بهجت: مجاهد مصطفى شعر الشافعي، مطبعة جامعة الموصل ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص٢٦٥.

(٤) محمد بن أسحق بن خزيمة السلمي، إمام الأئمة، العلامة الفقيه (ت ٣١١هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ - ٧٣١ (٧٣٤)، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٣٠.

وهي طريقة أصحاب المسانيد، كمسند أحمد، وأبي داود والطيالسي[١].

ومنهم: رتب كتبه على الكتب والأبواب والأبواب الفقهية وهي كتب أصحاب السنن[٢] وغير ذلك من الطرق التي استخدمها أئمة الحديث لخدمة السنة النبوية مما يطول ذكره.

وأكبر دليل على اهتمامهم بذلك هو بذلهم الجهد الجهيد من أجل الحديث وإسناده والرحلة في طلب ذلك، وقطع المسافات الشاسعة من أجل الحديث الواحد. أو علو إسناده في بعض الأحيان " والرحلة من لوازم طلبة الحديث ومنهج المحدثين[٣] يقول ابن الصلاح[٤]: "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره ".

قال ابن معين [٥]:

"أربعة لا تؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، منادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث ".

وقد فهم أئمة الحديث ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن قول النبي ﷺ[١]:

---

(١) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش من كبار حفاظ الحديث (ت ٢٠٤هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ٢٤ - ٢٩ (٤٦١٧)، ابن الأثير: عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، طبعة مصر ١٣٥٦ -١٣٦٩هـ ٢/ ٩٦.

(٢) ينظر تفصيل ذلك، الخطيب: الكفاية ص ١٥ -١٦ الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٢٣، ٣١، ٣٢، ٧٣.

(٣) وهؤلاء الرحالة يذكرون المسلمين على ما كانوا عليه من وحدة المسلمين، ووحدة الوطن الإسلامي، فكانت كمدينة واحدة، لا جنسية تحددها، ولا قوم يغتصب بلداً منها، أو يفرض رأيه عليها، والمحدثون وأهل العلم عامة يطوفون ويجوبون أنحاء البلاد شرقها وغربها، دون السؤال عن الجنسية، ودون التفتيش من قبل جهاز الأمن والشرطة، ودون طلب تأشيرات، أو إقامة من قبل أحد، ودون أي إزعاج، أو متابعة أو مراقبة ! فالله واحد، والوطن واحد، والحكم واحد، والمسلمون واحد، وعلى قلب رجل واحد، جمعهم إيمانهم بالله عز وجل، وتوحيدهم له، وتطبيقهم لشرعه الشريف، فحقاً جنسية المسلم كانت عقيدته، يالها من سعادة !! ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٥٧.

(٤) المقدمة ص١٢٤

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٤.

(وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ).

وتاريخ الرحلة يعود إلى عصر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح[٢] وكتاب (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي خير وثيقة في هذا الباب، يؤكد ويؤيد صحة هذا الأمر.

فالصحابة كانوا يرحلون إلى النبي ﷺ من أجل خبر سمعوه، أو أمر ذي بال لم يعرفوا حكمه فمن ذلك ما رواه الشيخان[٣]:

(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسلام فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « وَصِيَامُ رَمَضَانَ ». قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ قَالَ « لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ. قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ واللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ؟ قال رسول الله ﷺ خمس صلوات في اليوم والليلة: فقال: هل علي غيرها ؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان، قال هل علي غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال: وذكر رسول الله ﷺ الزكاة. قال: هل علي غيرها ؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة وزيد بن خالد[٤] الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا[٥]:

---

(١) صحيح مسلم ١٧/ ٣١٠ (٧٠٢٨) وأبو داود والترمذي وغيرهم أبو داود: السنن ٣/ ٣١٦ (٣٦٤١)، النووي: شرح الأربعين النووية، مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م ص ٩٥.

(٢) ينظر الروايات عن السلف من الصحابة وغيرهم في الرحلة في طلب الحديث: الكفاية ص ٥٦٦ - ٥٦٨.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٩٠ (٤٦)، صحيح مسلم ١/ ١٢٤ (١٠٩) وينظر كذلك شرحي الكتابين: (فتح الباري ١/ ١٠٦ (٤٦)، شرح صحيح مسلم١/ ١٦٦-١٦٧.

(٤) زيد بن خالد الجهني، مختلف في كنيته قيل أبو زرعة وأبو عبد الرحمن، وأبو طلحة، صحابي من المهاجرين الأولين اختلف في وفاته ورجح ابن حجر (سنة ٧٨هـ) ينظر: الإصابة ١/ ٥٦٥ (٢٨٩٥)، تهذيب التهذيب ٣/ ٤١٠- ٤١١ (٧٤٨).

(٥) صحيح البخاري ومسلم (فتح الباري ١٢/ ١٣٦ - ١٣٧ (٦٨٢٧ - ٦٨٢٨) (شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧) ابن الصلاح: المقدمة ص ١٢٤ - ١٢٥.

(إِنَّ رجلاً مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولَ الله أَنْشُدُكَ الله إِلاَّ قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ الله. فَقَالَ الْخَصْمُ الآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله، وَائْذَنْ لِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « قُلْ ». قَالَ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا [١]، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ [٢]، فَسَأَلْتُ أهل الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي إنما عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أنيس [٣] إلى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا » قَالَ فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فأمر بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَرُجِمَتْ).

والأمثلة على ذلك كثيرة في عهد النبي ﷺ.

أما عهد الصحابة ﷺ فمنها ما رواه ابن الصلاح يقول [٤]:

"لقد كان علقمة [٥] والأسود [٦] يبلغهما الحديث عن عمر ﷺ فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه".

وقال أبو الدرداء [٧]:

"لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجل ببرك الغماد لوصلت إليه وهو أقصى حجر باليمن" [٨].

---

(١) العسيف: الأجير ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٦.

(٢) الوليدة هي الجارية والأمة وإن كانت كبيرة، ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٢٢٥.

(٣) أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي الصحابي شهد فتح مكة (ت ٢٠هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٦١ -٦٢ الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٢٠٨ (عهد الراشدين).

(٤) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٥) علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق الكوفي ولد في حياة رسول الله ﷺ ولم ير النبي ﷺ (ت ٦٢)، ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٨ (٢٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٦ - ٢٧٨ (٤٨٤).

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام، أبو عمرو النخعي الكوفي الفقيه الزاهد سمع عدد من الصحابة (ت ٧٥هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ٥٠- ٥١ (٢٩)، ١/ ٣٤٢-٣٤٣ (٦٢٥).

(٧) هو: عويمر بن زيد بن خالد اشتهر بأسمه وكنيته جميعاً أسلم يوم بدر (ت ٣٢هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٥ - ٤٦ (٦١١٧)، تقريب التهذيب ٢/ ٩١ (٨٠٦).

(٨) معجم البلدان ١/ ٣٩٩ - ٤٠٠ وبرك الغماد بلد باليمن، وينظر المزيد عن رحلات الصحابة إلى النبي - فتح الباري ١/ ١٧٣، ١٨٤، لبن ماجة: السنن١/ ٨١، ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت

ذهب بعض المستشرقين[١] مثل: جولد تسهير، وليون بورشية، تبعاً، لتسهير، أن تاريخ الرحلة في طلب الحديث وغيره، يعود إلى عهد بني أمية، معللاً ذلك بأن الأتقياء والزهاد في عصر بني أمية قد عزلوا أنفسهم عن الحياة العامة، من الخلفاء والأمراء، ومن أجل ذلك سدوا فراغهم، بدراسة الشريعة والتفتيش عن الإسناد والرحلة في طلب الحديث !!!.

وهذا الزعم باطل من أساسه كما بينا طرفاً منه وقد ضربنا بعض الأمثلة على بطلانه.

لأن المستشرقين بشكل عام، لا يأخذون الأمور من مظانها ومصادرها لذلك، يلجؤون في كثير من الأحيان إلى المصادر الغير مختصة، أو إلى التخمينات والتأويلات لتبرير آرائهم وأفكارهم[٢].

٢٤١هـ/ ٨٥٥م) مسند أحمد، مطبعة الميمنية ١٣١٣هـ ١٣/ ١٦١، الهيثمي: مجمع الزوائد ١/ ١٢٢، الدارمي عثمان بن سعيد بن خالد (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٤م) سنن الدارمي، طبعة كانفور ص ١٤٨، السندي:أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي (ت ١١٣٨هـ ١٧٢٦م) حاشية السندي على البخاري، المطبعة الميمنية - القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ م ٤/ ٥٢.

(١) دراسات في السنة الإسلامية، ليون بورشية (بالفرنسي) تاريخ العصر الأموي الفقرة (٣) عن الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ٣١.

(٢) ينظر السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٨٨، البشير: ضوابط الرواية ص ٢٨٦ - ٢٨٧، وقد قيم السباعي رحمه الله بحوث وعمل المستشرقين بالملامح التالية:

- سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.
- سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.
- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخاصة في العصر الأول بجمع متفكك، تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.
- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.
- الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.
- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.
- تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وإساءتهم في فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.
- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ينظر: السباعي: الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان - الكويت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨ م ص ٢٥- ٣٢.

٢ـ ما هي أهداف الرحلة ؟:

إن للرحلة في طلب العلم عند المسلمين أهدافا جليلة وسامية وهامة، حيث أن قطع المسافات القريبة والبعيدة، وقطع المفاوز[١] والبعد عن الأهل والأوطان، ليست مسألة سهلة إن لم يكن وراءها هدف أو مقصد جليل، فما هي إذا أهداف الرحالة في رحلتهم في طلب العلوم الشرعية؟!

أـ الحصول على الحديث:

وهو أول أسباب الرحلة، حيث أن بعض أصحاب النبي ﷺ رحل إلى النبي ﷺ من أجل حديث معين، أو سافر بعض الصحابة إلى البعض من بلد إلى بلد من أجل ذلك أيضاً.

من المعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، من أجل الجهاد في سبيل الله تعالى كما وأن بعضهم أرسلهم النبي ﷺ، والخلفاء الراشدون، والخلفاء من بني أمية، إلى بعض البلدان، في سبيل نشر الإسلام والعلم في تلك البلاد، أو نُصِبوا ولاة وقضاة فيها [٢].

ابتاع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله، بعيراً، فشد عليه رحله وسار شهراً حتى قدم الشام، ليسأل عبد الله بن أنيس[٣]، عن حديث في القصاص[٤].

يقول ابن المديني [٥]:

"حججت حجة وليس لي همة إلا أن اسمع ".

قال مكحول[٦]:

---

(١) المفاوز: جمع المفازة وهي الصحراء وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز أي هلك. قال ابن الأعرابي: سميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث٣/ ٤٧٨، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١١٤٣ - ١١٤٤

(٢) ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٥٤٩ - ٥٥٠.

(٣) عبد الله بن أنيس أبو يحيى الجهني، شهد العقبة (ت ٥٤هـ) على الصحيح ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧٨ - ٢٧٩ (٤٥٥٠)، تقريب التهذيب ١/ ٤٠٢ (١٩٠).

(٤) ينظر الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٢٥.

(٥) الترمذي: السنن ٥/ ٣٠٩ (٣١٤٩) وينظر كذلك الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٠.

(٦) مكحول ابن أبي مسلم شهراب بن شاذل أبو عبد الله الرحالة " الحافظ (ت ١١٢هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٧ (٩٦)، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٨٩ - ٢٩٣ (٥٠٩).

"كنت عبداً بمصر لامرأة، من بني هذيل، فأعتقتني، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه، فيما أرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منه وبه علم إلا حويت عليه فيما أرى ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النفل فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء حتى أتيت شيخاً يقال له زياد[١] بن جارية التميمي، فقلت له هل سمعت في النفل شيئاً ؟

قال: نعم، سمعت حبيب بن مسلمة الفهري[٢] يقول: شهدت النبي ﷺ (نَفَّلَ الرُّبُعَ فِي الْبَدْأَةِ وَالثُّلُثَ فِي الرَّجْعَةِ)[٣].

ب ـ التثبت من الحديث:

والهدف الآخر هو التثبت من الحديث وقد ذكرنا أن علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.

ومن ذلك ما رواه الخطيب عن أبي أيوب[٤] قال[٥]: "خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر[٦]

---

(١) زياد بن جارية التميمي أدخله بعضهم في الصحابة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر ترجمته: ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٨٦ (٣٠١٢)، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٦ - ٣٥٧ (٦٥٧).

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك، يقال له حبيب الروم، لكثرة دخوله عليهم صحابي جليل (ت ٤٢هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ٣٠٩ (١٦٠٠)، ٢/ ١٩٠ - ١٩١ (٣٤٩)

(٣) أراد بالبداءة ابتداء الغزو، وبالرجعة القفول منه، والمعنى كان إذا نهضت سرية من جملة العسكر المقبل على العدو فأوقعت بهم نفلها الربع، مما غنمت، وإذا فعلت ذلك عند عود العسكر، نفلها الثلث، لأن الكرة الثانية أشق عليهم، والخطر فيها أعظم، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٣، والحديث رواه أبو داود ومعناه ابن ماجه: أبو داود: السنن ٣/ ٨٠ (٢٧٥٠) ابن ماجه: السنن ٢/ ٩٥١ (٢٨٥١ - ٢٨٥٤).

(٤) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري.

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٧ -٨، الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨ - ١٢٠ غير أن الحافظ ابن حجر، ذكر أن الراحل إلى مسلمة هو عقبة بن عامر وليس أبا أيوب، ينظر: الإصابة ٣/ ٤١٨، وعريش مصر مدينة قريبة من الساحل كثيرة الثمار والطيور ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ١١٣ - ١١٤ (عريش) وقد ذكر هذه القصة أيضاً ابن القيم وذكر أن أبا أيوب هو الذي رحل إلى عقبة بن عامر ينظر ابن القيم: الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة، تحقيق أحمد عطية الغامدي، وعلي ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١/ ٣٣١-٣٣٢.

(٦) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني أحد من جمع القرآن بمصر من أوائل الصحابة توفي في آخر خلافة معاوية على الصحيح: ينظر: ابن حجر: الإصابة ٣/ ٢/ ٤٨٩ (٥٦٠١)، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٢ - ٢٤٤ (٤٣٩).

وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري[١]، وهو، أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟

قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله!.

قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من ستر مؤمنا على خربة[٢] ستره الله يوم القيامة)[٣].

فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر ".

ومن التثبت من الحديث أن يكون عند المحدث أحاديث يرويها فيسمع في رحلته بعض هذه الأحاديث بإسناد يلتقي مع إسناده ويتفق في صيغة المتن المروي أو معناه[٤] أو يسمع أحاديث أخرى في معنى ما يرويه[٥] فيطمئن المحدث ويتقوى الحديث حتى يحتج به إن كان فيه ضعف من قبل[٦]، أو يزداد صحة إن كان من قبل صحيحاً[٧]. كما أن تتبع الروايات والأسانيد قد يسفر عن خلل يسقط حديثاً كان يظنه من قبل صحيحاً[٨].

---

(١) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي أحد أصحاب النبي ﷺ وهو أمير علي رضي الله عنه على مصر (ت ٦٢) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤١٨ (٧٩٨٩) تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٩ (١١٢٩).

(٢) خربة: الشيء الذي يستحيا منه، أو الفضيحة. ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ١٧.

(٣) مسند أحمد ٤/ ١٥٣، ١٥٩ الهيثمي: مجمع الزوائد ١/ ١٣٤، الحميدي عبد الله بن الزبير الأزدي (ت ٢١٩هـ- ٨٣٤م) المسند، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت ١/ ١٨٩ (٣٨٤) بلفظ (خزبة).

(٤) ويسمى المتابعة يُنظر الفصل السادس ص ٣٤١.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٩.

(٦) هو: الحديث الحسن لغيره، ينظر: عتر نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م ص ٢٤٩-٢٥٢.

(٧) ينظر عتر: نور الدين: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، الطبعة الأولى، لجنة التأليف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م ص ١٢٦ - ١٣٢.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ص ١٢٦ - ١٣٢ الأدلبي: منهج النقد ص٣٩٩ وما بعدها.

ج- طلب علو الإسناد: [١].

قال ابن الصلاح [٢]:

"وطلب العلو سنة، ولذلك استحبت الرحلة فيه، وقال أحمد بن حنبل: طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف، وقيل ليحيى بن معين في مرضه الذي مات فيه: ما تشتهي؟ قال: بيت خالي، وإسناد عالي".

وفائدة العلو؛ إبعاد الإسناد من الخلل لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل [٣].

من أجل ذلك نجد عند كل أئمة المصطلح، قد خصصوا نوعاً خاصاً وباباً خاصاً بمعرفة الإسناد العالي والنازل [٤].

كما أن الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة الحديث تجشموا لتحصيل عالي الإسناد كل صعب وشاق، وضربوا أكباد الإبل من أجله الآفاق. روى الخطيب عن أبي العالية[٥] قال [٦]: "كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة، بالبصرة فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم".

---

(١) الإسناد العالي: هو قلة عدد الرجال في السند مع اتصاله وهو خمسة أقسام وهي: ١- القرب من رسول الله ﷺ ٢- الموافقة: وهي انتهاء الإسناد إلى شيخ مسلم مثلاً ٣- البدل وهو: انتهاؤه إلى شيخ شيخه أو مثل شيخه ٤- المساواة وهو: أن تساوي في إسنادك الحديث المصنف ٥- المصافحة وهي: عبارة عن نزولك عنه بدرجة، حتى كأنه صافحك به وسمعته منه، وأما النزول فهو عكس السابق، وهو أيضاً على خمسة أقسام ينظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث ص٩-١١، ابن الصلاح: المقدمة ص ١٣٠ -١٣٤، شاكر: الباعث الحثيث ص ١٥٤ - ١٥٩.

(٢) المقدمة ص ١٣٠، وينظر كذلك الهروي: جواهر الأصول ص ٦٢.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص١٣٠.

(٤) ينظر مثلاً الحاكم: معرفة علوم الحديث ٥- ١٢، ابن الصلاح: المصدر السابق ص١٣٠ - ١٣٤، شاكر: المصدر السابق ص١٥٤ - ١٥٩، الهروي: المصدر السابق ص٦١- ٦٧.

(٥) رفيع بن مهران الرياحي الفقيه البصري المقرئ (ت ٩٣هـ)على الصحيح ينظر أبو نعيم:حلية الأولياء ٢/ ٢١٧-٢٢٤ (١٨٠)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦١ - ٦٢ (٥٠)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤- ٢٨٦ (٥٣٩).

(٦) الرحلة في طلب الحديث ص٩٣، الكفاية في علم الرواية ص ٥٦٣.

وروى الحاكم عن صالح بن صالح[١] قال: "سأل رجل من أهل خراسان عامراً[٢] فقال: يا أبا عمرو، كيف تقول في رجل كانت له وليدة [٣] فأعتقها فتزوجها ؟ فإنا نقول عندنا هو كالراكب بدنة[٤].

فقال: حدثنا أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال[٥]:

قال: رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ». فلقد كان الراكب يركب فيما هو أدنى من هذا إلى المدينة.

قال: أبو عبد الله[٦]. فهذا الراكب إنما كان يركب في طلب عالي الإسناد، فلو أقتصر على النازل لوجد بحضرته من يحدث به[٧].

د- البحث عن أحوال الرواة:

بذل رحالة الحديث جهداً عظيماً في هذا الشأن وتقصوا في رحلاتهم حال الرواة.

"لو لا ما بذله الأئمة النقاد في هذا الشأن من الجهود في البحث عن عدالة الرواة، واختبار حفظهم وتيقظهم حتى رحلوا في سبيل ذلك وتكبدوا المشاق ثم قاموا في الناس بالتحذير من الكذابين والضعفاء والمخلطين، لاشتبه أمر الإسلام واستولت الزنادقة ولخرج الدجالون"[٨].

قال أحمد بن منصور الرمادي[٩]: "خرجت مع أحمد (أي ابن حنبل) ويحيى (أي ابن معين)

---

(١) صالح بن صالح بن حي أبو حيان الثوري الكوفي، ثقة ليس بالقوي (ت ١٥٣هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٩٥ (٣٨٠٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٣٩٣ (٦٦٣).

(٢) هو الإمام الشعبي.

(٣) أي جارية.

(٤) والبدنة: الناقة، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٤٤ (ب د ن)

(٥) صحيح البخاري ٩/ ٢٧٧ (٢٥٤٧)، (فتح الباري ٧/ ١٢٦ (٥٠٨٣).

(٦) بعني الإمام الحاكم النيسابوري.

(٧) معرفة علوم الحديث ص ٧.

(٨) الرحلة في طلب الحديث ص ٢١ (المقدمة)، وينظر كذلك الخطيب البغدادي نفسه: الاحتجاج بالشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية - باكستان ص ٣٦.

(٩) أحمد بن منصور بن سيار البغدادي الرحالة، وله كتاب المسند ثقة (ت ٢٦٥هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٥/ ١٥١ - ١٥٣ (٢٥٨٦)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٤ - ٥٦٥ (٥٨٩).

obeikandl.com

إلى عبد الرزاق (أي الصنعاني المحدّث) أخدمهما فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد: أريد أن اختبر أبا نعيم [١]، فقال له أحمد: لا تزيد الرجل إلا ثقة.

فقال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ثم جاؤا إلى أبي نعيم فخرج فجلس على دكان فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني فقال:

ليس من حديثي اضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث، فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى فقال: أما هذا - وذراع أحمد في يده - فأورع من أن يعمل هذا وأما هذا يريدني فأقل من أن يعمل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ثم أخرج رجله فرفسه، فرمى به وقام فدخل داره. فقال أحمد ليحيى:

ألم أقل لك أنه ثبت. قال: والله لرفسته [٢] أحب إلي من سفرتي [٣] "!.

هـ- مذاكرة العلماء في نقد الأحاديث وعللها:

وهو فن دقيق يحتاج إلى خبرة طويلة ودراية واسعة بطرق الحديث وتقصيها.

قال الخطيب [٤]:

"لو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق ".

كان ابن المديني وهو في العراق يزور سفيان بن عيينة [٥] بمكة من أجل المذاكرة.

---

(١) هو: الفضل بن دكين، أبو نعيم التيمي الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، ثقة، وكان يقظاً، عارفاً بالحديث، ثم قام في أمر الفتنة بما لم يقم غيره، عافاه الله. مات يوم الشك من رمضان سنة تسع عشرة ومئتين.

وقال يعقوب بن شيبة عمن حدثه: إن أبا نعيم مات بالكوفة ليلة الثلاثاء لانسلاخ شعبان سنة تسع عشرة، وشذ محمد بن المثنى الزمن، فقال: مات في آخر سنة ثمان.

ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤٢ (٢١) بحر الدم ص ١٢٥ (٨٢٧).

(٢) رفس: ضرب برجله. ينظر: الرازي: المصدر السابق ص ٢٥٠ (ر ف س).

(٣) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٤، وينظر النص أيضاً: مصادر ترجمة أبي نعيم.

(٤) الكفاية في علم الرواية ص٥٦٩.

(٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام الحجة، ثقة ثبت من حكماء أصحاب الحديث (ت ١٩٨هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٦٢ - ٢٦٥ (٢٤٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ١١٧ - ١٢٢ (٢٠٥).

قال ابن عيينة[١]:

"يلومونني على حب علي بن المديني، والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني".

وقال يحيى بن سعيد[٢]:

"نستفيد من علي أكثر مما يستفيد منا".

وكان الإمام أحمد يصلي من الليل مائة ركعة وأكثر، فإذا زاره يحيى بن معين اكتفى بالليل من النافلة، وجلس للمذاكرة مع يحيى فقال له ابنه في ذلك: فقال[٣]:

"يا بني إن ما يفوت من النافلة يدرك لكن إذا فات ما عند هذا الفتى لا يدرك".

٣ـ لطائف وطرائف المحدثين في الرحلات:

إن من يقلب صفحات تاريخ رجال الحديث والعلوم الشرعية بشكل عام ليرى عجب العجاب من النوادر والغرائب والمضحكات المبكيات ويرى بأم عينيه أن أمته كانت فعلا خير أمة أخرجت للناس حينما كانت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها، كما يرى بعينيه عبقرية هذه الأمة المسلمة التي ضحّت بنفسها من أجل دين الله ومن أجل شرعه، والإنسانية جمعاء.

فهؤلاء طائفة كبيرة من علماء وأئمة المسلمين يذوقون الأمرين الجوع والعطش والفقر والبعد عن الأهل والوطن بل ربما يموت أحدهم وهو في رحلته، أو يزوع ويتقيّأ دما أو يفقد بصره أو يتعرض للأذى ولكنه يتحمل ذلك كله من أجل حديث رسول الله ﷺ.

يقول الإمام الحاكم[٤]:

"إن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها ورائهم وجعلوا غذائهم الكتابة وسمرهم المعارضة، واستراحهم المذاكرة وخلوقهم المداد ونومهم السهاد، واصطلائهم الضياء، وتوسدهم الحصى، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولم بلذاذة السنة عامرة، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن عندهم سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم".

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥١.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦١، تهذيب الكمال ٢١/ ١٣، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٧.

(٣) ينظر الخطيب: الرحلة في طلب الحديث. ص٢٣.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٣، وينظر كذلك: الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٢٢٠ -٢٢١.

ومن هذه النوادر: قصة يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي[١].

قال محمد بن يزيد العطار[٢]: سمعت يعقوب بن سفيان يقول[٣]:

"كنت في رحلتي فَقَلَّتْ نفقتي، فكنت أدمن الكتابة ليلاً وأقرأ نهاراً فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج وكان شتاء فنزل الماء في عيني، فلم أبصر شيئاً فبكيت على نفسي لانقطاعي عن بلدي، وعلى ما فاتني من العلم فغلبتني عيناي فنمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم فناداني: يا يعقوب لما أنت بكيت ؟

فقلت: يا رسول الله ذهب بصري، فتحسرت ما فاتني !.

فقال لي: ادن مني، فدنوت منه فأمرَّ يده على عينيّ كأنه يقرأ عليهما ثم استيقظت فأبصرت فأخذت نسخي وقعدت أكتب".

ومنهم ابن أبي حاتم: روى عبد الرحمن بن أبي حاتم[٤] قال: سمعت أبي يقول[٥]: "بقيت في البصرة في سنة أربعة عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أُقيم سنة ! فانقطع نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شئ، حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد، وغدا علي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعاً.

فلما كان من الغد غدا علي. فقال: مر بنا على المشايخ.

قلت: أنا ضعيف لا يمكنني قال: ما ضعفك؟

قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً.

---

(١) أبو يوسف: الإمام الحافظ الحجة (ت ٢٧٧هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٨٢- ٥٨٣ (٦٠٧) ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٧٥ (٣٧٧).

(٢) محمد بن يزيد، أبو جعفر العطار الحربي (ت ٢٧٢هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠ (١٤٩٧)، شذرات الذهب ٢/ ١٦٣ وسماه محمد بن عبيد الله بن يزيد المحدث المنادي.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٤) ينظر ترجمته الملحق رقم (٣).

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

فقال: قد بقي معي دينار، فأنا أواسيك بنصفه، ونجعل النصف الآخر في الكراء. فخرجنا من البصرة، وقبضت منه النصف دينار ".

وفي رواية أخرى للذهبي عنه قال [١]:

"بقيت بالبصرة سنة أربع عشرة فبعت ثيابي حتى نفدت وجعت يومين، فأعلمت رفيقي فقال: معي دينار، فأعطاني نصفه، وطلعنا مرة من البحر وقد فرغ زادنا فمشينا ثلاثة أيام لا نأكل شيئاً، فألفينا بأنفسنا وفينا شيخ فسقط مغشياً عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا فرسخاً فسقطت مغشياً علي، ومضى صاحبي فرأى على بعد سفينة، فنزلوا الساحل فلوح بثوبه فجاؤه فسقوه، فقال: أدركوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يرش على وجهي، ثم سقاني ثم أتوا بالشيخ، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا ".

ويروي لنا الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي رحلة من رحلاته فيقول[٢]: " أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ[٣]، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته[٤].

أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصي كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلاصل[٥] إلى مصر ماشياً، ومن مصر إلى الرملة[٦] ماشياً، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان[٧]، ومن الرملة إلى طبرية[٨]، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص[٩]، ومن حمص إلى أنطاكية[١٠]، ومن أنطاكية إلى طرسوس[١]، ثم رجعت

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٨. وهذه القصة لعلها بعد خروجهم من البصرة، وهي مغايرة للقصة الأولى.

(٢) ينظر: تقدمه الجرح والتعديل ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣) الفرسخ في اللغة السكون، والفرسخ ثلاثة أميال أو ستة ينظر: لسان العرب ٢/ ١٠٧٣ (فرسخ).

(٤) أي تركت إحصاء ما زاد على الألف فرسخ.

(٥) هو ماء لعامر في واد يقال له الجوف به نخيل كثيرة ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٤١٩ (صلاصل).

(٦) مدينة من مدن فلسطين ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٦٩-٧٠ (الرملة).

(٧) مدينة من مدن فلسطين ينظر: المصدر نفسه ٤/ ١٢٢ (عسقلان).

(٨) بلدة مطلة على بحيرة طبرية في الأردن، ينظر: المصدر نفسه ٤/ ١٧ - ٢٠ (طبرية).

(٩) بلدة بين دمشق وحلب، ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٥ (حمص)

(١٠) بينها وبين حلب يوم وليلة، ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٦٦ - ٢٧٠ (انطاكية)

رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقي علي شيء من حديث أبي اليمان[٢] فسمعت ثم خرجت إلى بيسان[٣]، ومن بيسان إلى الرقة[٤] ومن الرقة ركبت إلى الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط[٥] إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة[٦] كل ذلك ماشياً كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة، أجول سبع سنين، خرجت من الري[٧] سنة ثلاث عشرة ومائتين.. في شهر رمضان ورجعت: سنة إحدى وعشرين ومائتين".

ويصف الإمام ابن الجوزي نفسه فيقول[٨]:

"ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة. فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى[٩] فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء. فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم فصرت في معرفة طريقه كابن أجود".

ومنهم المحدث الجوال: محمد بن طاهر المقدسي[١٠]، وهو يروي لنا رحلة طويلة شاقة

==

(١) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب، ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٢٨- ٢٩ (طرسوس).

(٢) هو: عامر بن عبد الله بن لحى (وسماه الذهبي بن يحيى) الحمصي وثقه ابن حبان، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦١ (٤٠٨٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٧٥ (١٢٠)

(٣) مدينة بالأردن، ينظر الحموي: المصدر السابق ١/ ٥٢٧ - ٥٢٨ (بيسان).

(٤) مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٥٨-٦٠ (الرقة).

(٥) مدينة بين البصرة والكوفة في العراق، ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٣٤٧ - ٣٥٣ (واسط)

(٦) ينظر عن الكوفة: ص ٢٥٣.

(٧) مدينة مشهورة خرج منها كثير من أعلام المسلمين، ينظر الحموي: المصدر السابق ٣/ ١١٦-١٢٢ (الري).

(٨) ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق آدم أبو سنينة، دار الفكر - عمان ١٩٨٧ م ص ٢٣٥. ولم أجد المثل، فيما رجعت إليه من كتب الأمثال.

(٩) سمي بإسم حافره عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي عم المنصور وهي قرى كثيرة غربي بغداد، ينظرالحموي: المصدر السابق ٥/ ٣٢١- ٣٢٢ (نهر عيسى).

(١٠) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، رحالة محدث، مؤرخ (ت ٥٠٧هـ) ينظر ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٧٧ - ١٧٩ (٢٩٣)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ (٦١٩).

جاب فيها أغلب بلاد الإسلام المشهورة في زمنه، ثم يقول [١]:

"بلت الدم في طلب الحديث مرتين مرة ببغداد ومرة بمكة، وذلك كنت أمشي حافياً في حر الهواجر بهما فلحقني ذلك ! وما ركبت دابة قط في طلب الحديث إلا مرة وكنت أحمل كتبي على ظهري إلى أن استوطنت البلاد. ورحلت من طوس[٢] إلى أصبهان[٣]... الخ".

الرواية بين الحفظ والكتابة:

١ـ الكتابة بين الأمر والنهي في عهدي الصحابة والتابعين:

إن المتتبع لتاريخ التشريع الإسلامي - غير المتعمق والمحقق - حينما ينظر إلى تلك النصوص الواردة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين في النهي عن الكتابة، والأمر بها، يجد نفسه في وسط أزمة كبيرة حيث يجد الأخبار والآثار متضاربة في شأن الكتابة ولكن في نظر، الباحث المحقق أمر ميسور، وسهل تفسيره وتحليله وفهمه.

فمن الآثار الواردة في النهي عن الكتابة قوله ﷺ[٤]:

«لاَ تَكْتُبُوا عَنِّى وَمَنْ كَتَبَ عَنِّى غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّى وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ - قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ - مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

ومنها ما روي عن عبد الله بن حنطب [١] قال:

---

(١) أبو غدة: عبد الفتاح: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب ١٩٧٤ م ص ١١٤.

(٢) مدينة بخراسان ينظر الحموي: المصدر السابق ٤/ ٤٩ - ٥٠ (طوس)

(٣) وهي مدينة مشهورة في إيران، ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٠٦ - ٢١٠ (اصبهان).

(٤) خرج عدة مرات وهو في الصحيحين، من رواية أبي سعيد الخدري، وقد أعل بعضهم هذا الحديث بالوقف على أبي سعيد الخدري كما ذهب إلى ذلك البخاري، وهو غير صحيح كما يقول العلامة أحمد شاكر ويؤيد ذلك حديث آخر لأبي سعيد حيث يقول (استأذنت النبي أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي) ينظر الخطيب: تقييد العلم تحقيق الدكتور: يوسف العش - دمشق ٩٤٩ م ص ٢٩-٣٢، صبحي الصالح: علوم الحديث، ومصطلحه ص ٢٠ الهامش (٢) وحديث استاذنت السابق ينظر الترمذي: السنن ٥/ ٣٧ - ٣٨ (٢٦٦٥) والدارمي: السنن ١/ ١١٩، الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٧٧، السخاوي: فتح المغيث ص ٢٣٧، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٣٦٣،

دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله عن حديث فأمر إنسانا بكتبه فقال له زيد [٢]: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ لاَ نَكْتُبَ شيئاً مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ).

ومن تلك الأحاديث: ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نكتب الأحاديث، فقال[٣]:

==

(١) عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد الله أختلف في صحبته، فذهب ابن عبد البر إلى أن له صحبة. لم أقف على تاريخ وفاته: ينظر: الاستيعاب ٢/ ٢٩١، ابن حجر الإصابة ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩ (٤٦٣٦)

(٢) الحديث رواه عدد من أئمة الحديث ينظر: مسند أحمد ٥/ ١٨٢ (٢١٥٧٩)، أبو داود: السنن ٣/ ٣١٨ (٣٦٤٧) واللفظ له، جامع بيان العلم ١/ ٦٣، تقييد العلم ص ٣٥، الفقيه والمتفقه: تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م ص ٢٠٣، اليحصبي: عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى مطبعة السنة النبوية - القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠ م ص ١٤٨.

(٣) الحديث رواه الهيثمي والخطيب والقاضي عياض. ينظر: مجمع الزوائد ١/ ١٥٠، تقييد العلم ص ٣٤، الإلماع ص ٢٨، وتحققت نبوة النبي ﷺ في ذلك حيث أن بعض الصحابة قد توهموا في بعض الأحاديث وتصوروها من كتاب الله، وقد أوقع هذا الأمر بعض الذين في قلوبهم مرض من الزنادقة بالتشكيك في كتاب الله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩]، وأثاروا قديما وحديثا، وخاصة في هذه الأيام، زوبعة من الطعن في الصحابة والتابعين وسلف الأمة وبالتالي الطعن بالقرآن الكريم الدستور الخالد للمسلمين بأن القرآن قد حصل فيه التحريف والزيادة والنقصان ! والذي أثاره هؤلاء حول هذه الروايات كان سببه:

١- إما الوهم من الراوي (سواء كان من الصحابة أم من التابعين ولذا حذر النبي من تدوين شيء غير القرآن - في بادئ الأمر - خوفاً من الوهم واختلاط القرآن بالحديث النبوي. كما توهم زر بن حبيش (وفي رواية أبي موسى الأشعري) قال: في قراءة أبي بن كعب (ابن آدم لو أعطي وادياً من مال لالتمس ثانياً، ولو أعطي واديين من مال لالتمس ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب)، قال عكرمة: قرأ علي عاصم (لم يكن) ثلاثين آية هذه فيها !.

لقد أجاب القرطبي عن هذا الوهم:

أ - أنه معروف من كلام الرسول ﷺ، ولا يمكن أن يحكيه عن رب العالمين في القرآن. (ويمكن الرجوع إلى كتب الحديث حيث ذكره عدد كبير من أئمة الحديث في باب التوبة).

ب-إن قرائتي: ابن كثير وأبي عمرو متصلتان بأبي بن كعب، لا يقرأ فيهما هذا المذكور في (لم يكن).

ج- وما رواه اثنان معهما الإجماع، أثبت مما يحكيه واحد مخالف لمذهب الجماعة.

ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٩، وسند هذا الحديث: أبو بكر الأنباري قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: حدثنا عكرمة عن عاصم عن زر بن حبيش، ويمكن

==

==

للباحث أيضاً أن ينظر في هذا السند لزيادة الاطمئنان.

٢- ما كان سببه الوضع: ومن هذه الروايات ما كان منها موضوعاً وباطلاً، ساقط الإسناد، وضعها الزنادقة للنيل من كتاب الله، كما يقول ابن حزم: وقد غلط قوم غلطاً شديداً وأتوا بأخبار ولدها الكاذبون والملحدون، منها حديث: إن الداجن أكل صحيفة فيها آية متلوة فذهبت البتة.

ومنها: أن قرآنا أخذه عثمان بشهادة رجلين وشهادة واحدة منها:

أن قراءات كانت على عهد رسول الله ﷺ أسقطها عثمان وجمع الناس على قراءة واحدة.

قال ابن حزم: وهذا كله ضلال نعوذ بالله منه ومن إعتقاده وأما الذي لا يحل اعتقاد سواه فهو قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

فمن شك في هذا كفر، ولقد أساء الثناء على أمهات المؤمنين، ووصفهن بتضييع بما يتلى في بيوتهن حتى تأكله الشاة، فيتلف، مع أن هذا كذب ظاهر ومحال ممتنع لأن الذي أكل الداجن، لا يخلو من أحد الوجهين:

إما أن يكون رسول الله ﷺ حافظاً له أو كان قد أنسيه، فإن كان في حفظه فسواء أكل الداجن الصحيفة أو تركها.

وإن كان رسول الله قد أنسيه فسواء أكله الداجن أو تركه قد رفع من القرآن، فلا يحل إثباته فيه كما قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

فنص تعالى على أنه: لا ينسى أصلاً شيئاً من القرآن إلا ما أراد الله تعالى رفعه، بإنسائه، فصح أن حديث الداجن إفك وكذب وفرية ولعن الله من جوز هذا أو صدق به، بل كل ما رفعه الله تعالى من القرآن فإنما رفعه في حياة النبي ﷺ، قاصداً إلى رفعه ناهياً عن تلاوته إن كان غير منسي: أو ممحوا من الصدور كلها ولا سبيل إلى كون شيء من ذلك بعد موت رسول الله ﷺ ولا يجيز هذا مسلم، لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. ولكان أيضاً تكذيبا لقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

ولكان ما يرفع منه بعد موت رسول الله ﷺ خرماً في الدين ونقصاً منه، وإبطالاً للكمال المضمون ولكان ذلك مبطلاً لهذه الفضيلة التي خصصنا بها والفضائل لا تنسخ والحمد لله رب العالمين.

وأما فعل عثمان رضي الله عنه: فلم يمت رسول الله ﷺ إلا والقرآن مجموع كما هو مرتب لا مزيد فيه ولا نقص ولا تبديل، والقراءات التي كانت على عهد رسول الله ﷺ باقية كلها كما كانت لم يسقط منها شيء، ولا يحل حظر شيء منها قل أو كثر.

ينظر: الأحكام في أصول الأحكام مجلد ١ جزء ٤/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

أوردت هذا النص الطويل: لما رأيت من مناقشة ابن حزم رحمه الله ومحاكمته لمتن هذه الرواية التاريخية الباطلة، والطرق المتعددة التي استخدمها لنقد الرواية.

٣- ومنها (كما يقول ابن حزم أيضاً): ما كانت وحياً أوحاه الله إلى نبيه مع ما أوحى إليه من القرآن، فقرأ المتلو مثبوتاً في المصاحف والصلوات، وقرأ سائر الوحي منقولاً محفوظاً، معمولاً به، كسائر كلامه الذي هو وحي فقط، مثل: آية الرجم وآية الرضعات، فإنها لم تكن قرآنا ولا نابى هذا، ولا نقطع أنها كانت قرآنا متلواً في الصلوات.

ينظر: المصدر نفسه. جزء ٤/ ٨٤.

(ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا: أحاديث نسمعها منك قال: كتاب غير كتاب الله !؟ أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما أكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى).

ومن كره الكتابة من الصحابة والتابعين ﷺ: عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى، وأبو سعيد الخدري في جماعة آخرين من الصحابة والتابعين مخافة الاتكال على الكتاب وترك الحفظ، ولئلا يكتب شيء مع القرآن.

ومنهم من كان يكتب فإذا حفظ محا [١].

الأحاديث والآثار الواردة في النهي:

منها (إن أبا شاة[٢] اليمني إلتمس من رسول الله ﷺ أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة، فقال [٣]: « اكْتُبُوا لأَبِى شَاهٍ ».

وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص [٤] قال [٥]:

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ، أَفَأَكْتُبُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنِّي لاَ أقول فِيهِمَا إِلاَّ حَقًّا.

وروى البخاري عن أبي هريرة قال[٦]:

"ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب".

---

(١) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٤٩، ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧.

(٢) أبو شاة اليماني، يقال أنه فارسي، ومن ظن أنه باسم أحد الشياه فقد وهم، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٠٦/ ابن حجر: الإصابة ٤/ ١٠٠ (٦٠٦).

(٣) صحيح البخاري ٩/ ٧٩ (٢٤٣٤)، (فتح الباري ١/ ٢٠٥ (١١٢) ولم يصرح باسمه، وأبو داود: السنن ٣/ ٣١٨ (٣٦٤٩) وقد صرح باسمه.

(٤) السهمي: أبو عبد الرحمن وقيل أبو محمد وكان اسمه العاص فغيره رسول الله ﷺ وهو أحد الصوام القوام الزهاد من الصحابة (ت ٦٩هـ وقيل ٦٨هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ٣٤٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢ (٤٨٤٧)

(٥) مسند أحمد ١١/ ٥٩٣ (٧٠٢٠) أبو داود: السنن ٣/ ٣١٧ (٣٦٤٦).

(٦) فتح الباري ١/ ٢٠٦ (١١٣)، الترمذي: السنن ٥/ ٣٩ (٢٦٦٨)، الدارمي: السنن ١/ ١٢٥. الحاكم: المستدرك ١/ ١٠٥-١٠٦، ابن عبد البر:جامع بيان العلم ١/ ٧١، الخطيب: تقييد العلم ص ٧٤، السخاوي: فتح المغيث ص ٢٣٧، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٣٦٤.

وممن أجاز ذلك وفعله عمر، وعلي، وأنس، وجابر، وابن عباس وعبد الله بن عمر، والحسن، وعطاء، وقتادة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير[١]، في أمثالهم، ومن بعد هؤلاء ممن لا يعد كثرة[٢].

لقد سلك العلماء في التوفيق بين هذه الروايات مسلكين:

أ- مسلك النسخ:

ب- مسلك التوفيق:

هناك فريق من العلماء ذهب إلى المسلك الأول، وقال بأن الأحاديث المتأخرة نسخت الأحاديث المتقدمة التي نهت عن الكتابة، وكان ذلك في عهد النبي ﷺ[٣].

والمسلك الآخر: أنه أذن لبعضهم (وهم قلة) مثل عبد الله بن عمرو بن العاص لأنه كان قارئا، للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية، ومثله لا يخشى عليه الغلط والخلط بين الكتاب والسنة[٤].

والذي نراه والله أعلم للتوفيق بين تلك الأحاديث:

- ندرة وسائل الكتابة وندرة الكتاب في بادئ الأمر ثم زادت وسائل الكتابة، وزاد عدد الكتاب بفضل الإسلام الذي شجع هذا الجانب[٥].

- خوف التباس القرآن الكريم بقوله ﷺ، وهو من أهم الأسباب فلما زال ذلك الخوف أقر

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي (مولاهم) جهبذ العلماء، من سادات التابعين قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٩٥هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٢٧٢ - ٣٠٩ (٢٧٥)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٦ - ٧٧ (٧٣)، الداودي: طبقات المفسرين ١/ ١٨٨ - ١٨٩ (١٨١) - وذكر خطأ أو أحد النساخ أخطأ-، وجعل سنة وفاته ١٧٥هـ!

(٢) ينظر: الإلماع ص ١٤٧، ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧.

(٣) ينظر ابن قتيبة:تأويل مختلف الحديث، تصحيح محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م ص ٢٨٦، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٢٧ -١٢٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٠٦ - ٣٠٩.

(٤) ينظر ابن قتيبة: المصدر السابق ص ٢٨٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٨٧ ومن ذلك أن الرسول ﷺ أجاز في فتح مكة لأبي شاة وكذلك أراد النبي ﷺ أن يكتب كتابا قبل موته، حتى لا تضل الأمة بعده، ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

obeikandl.com

النبي ﷺ لهم بالكتابة، وهذا كما يقول الدكتور صبحي الصالح [١]:

"توجيه متدرج مع الحياة، والأحياء، متطور مع الأحداث التي تعاقبت على المجتمع الإسلامي، فما كان لهذا التوجيه أن يجمد على صورة واحدة بل روعي فيه الزمان وروعيت فيه الأشخاص فنهى الرسول ﷺ عن كتابة الأحاديث أول نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن ولا سيما إذا كتب هذا كله في صحيفة واحدة مع القرآن... ثم أذن بذلك إذناً عاماً حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون، وأمن اختلاطه بسواه".

ونرى أن هذا الرأي أولى وأوجه من اللجوء إلى النسخ والله أعلم.

ثم زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على جواز ذلك بدون خلاف ولولا ذلك لدرس حديث رسول الله ﷺ في الأعصر الأخيرة [٢].

٢ـ متى بدأ التدوين ؟:

لعل مسألة التدوين مرت بمراحل متعددة ولذلك نجد اضطراباً كبيراً في آراء العلماء في هذا المجال والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان التدوين في عهد النبي ﷺ ؟ أم كان في عهد الصحابة ؟ أم كان في عهد التابعين ؟ !.

لا أعتقد أننا نذهب بعيداً إذا قلنا أن التدوين، إنما بدأ في عهد النبوة للأدلة الكثيرة والمستفيضة على ذلك.

منها: إرادة النبي ﷺ الكتابة والتدوين فيما يتعلق بمستقبل المسلمين بعد وفاته ﷺ حيث روى ابن عباس أنه قال: لما أشتد بالنبي ﷺ وجعه قال [٣]:

«ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ. قَالَ:

«قُومُوا عَنِّى، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ».

---

(١) علوم الحديث، ومصطلحه ص ١٩ - ٢١، وينظر كذلك: الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ٣٨٦، شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧ الهامش (١).

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٨ شاكر: المصدر السابق ص ١٢٧.

(٣) رواه البخاري: (فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

فَخَرَجَ ابن عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ.

كما أن من المؤكد - كما سبق - أن بعض الصحابة كانت لهم كتب يكتبونها ويجمعون فيها أحاديث النبي ﷺ وفي حضوره.

ومنها الوثيقة المشهورة التي كتبها النبي ﷺ بين المسلمين واليهود [١].

وكتب رسول الله ﷺ كتابا لوائل بن حجر [٢] (ت٥٠هـ) لقومه في حضرموت [٣]، فيه الخطوط الكبرى للإسلام، وبعض أنصبة الزكاة، وحدّ الزنا، وتحريم الخمر، وكل مسكر حرام [٤].

وكتب أبو بكر لأنس بن مالك كتابا فيه الصدقات التي فرضها رسول الله ﷺ وفي رواية أن الكتاب كان ممهورا بخاتم رسول الله ﷺ [٥].

ومن ذلك الصحف المشهورة بين الصحابة رضي الله عنهم: ومنها الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ) وقد أذن له ﷺ كما مر بكتابة الحديث، وكانت هذه الصحيفة تضم ألف حديث، وكانت عزيزة على عبد الله، حتى كان يقول: ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط [٦]، وربما كان يحفظها في صندوق له حلق [٧].

---

(١) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ١٤٧ - ١٥٠. محمد حميد الله الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق السياسية، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة عام ١٩٥٨ م ص ١٥، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٤٤.

(٢) وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي ينظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٦٤٢، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٦٢٨ - ٦٢٩ (٩١٠٠).

(٣) ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر، ينظر الحموي: المصدر السابق ٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠ (حضرموت)

(٤) الأنصاري: محمد بن علي بن أحمد بن حديدة (ت بعد ٧٧٩هـ) المصباح المضيء(كتاب النبي الامي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد -الدكن ١٩٧٦م ص ١١٢.

(٥) ينظر: مسند أحمد ٢/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٦) الوهط: الموضع المطمئن، وهو مال لعبد الله بن عمرو بالطائف. ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٣٢، ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٩٩٢ - ٩٩٣ (وهط)

(٧) ينظر: مسند أحمد ١٠/ ١٧١ (٦٦٤٥)، الدارمي: السنن ١/ ١٢٧، ابن الأثير عز الدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع القاهرة ١٣٨٦هـ ٣/ ٢٣٣. والذي عليه المحققون أن عدد هذه الصحيفة لا يبلغ خمسمائة حديث، ينظر: عليش، محمد سيف الدين، مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة (رسالة ماجستير) ص ٦٧١، ولقد طعن بعض أهل العلم في هذه الصحيفة وربما لكونها انتقلت (وجادة) وهي أضعف طرق التحمل، لكن ابن تيمية دافع عن هذه الصحيفة دفاعاً جيداً ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى ١٨/ ٨ - ٩.

أما في عهد الصحابة فإن الآثار كثيرة جدا قد تبلغ حد التواتر منها صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ).

وكان قتادة بن دعامة يرفع من شأن هذه الصحيفة ويقول [١]: "لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة". ومنها: الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (ت ١٣١هـ) [٢]، وقد نقل الإمام أحمد والبخاري عنه عدد من الأحاديث في كتابيهما، وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة كما رواه ابن منبه [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان لسعد بن عبادة الأنصاري [٤] صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث الرسول وسننه [٥].

رسالة سمرة بن جندب (ت٦٠هـ) [٦]:

كان قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها إبنه سليمان [٧] رواها عنه، يقول عنها ابن سيرين [٨]:

"في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير".

---

(١) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣، وينظر كذلك، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٣.

(٢) هو همام بن منبه اليماني أخو وهب (ت ١٣١هـ) ينظرترجمته: الذهبي: العبر ١/ ١٣٤. ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٨٢.

(٣) همام بن منبه (ت ١٣١هـ ٧٤٩م) الصحيفة الصحيحة: تحقيق الدكتور محمد حميد الله، الطبعة الثانية، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ص٢١-٢٣، ينظر عن الصحيفة وصاحبها: عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٥٥-٣٥٧، صبحي الصالح: علوم الحديث، ومصطلحه ص ٣١- ٣٢.

(٤) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري، سيد الخزرج شهد العقبة، أحد النقباء اختلف في وفاته من (١١ - ١٥هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٥ - ٤١ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٠ (٣١٧٣).

(٥) ينظر الترمذي: السنن: ٣/ ٦٢٧ (١٣٤٣).

(٦) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري أبو سليمان صحابي جليل، كان شديداً على الخوارج توفي على الصحيح قبل الستين ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ٧٧- ٧٩، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٧٨- ٧٩ (٣٤٥٧).

(٧) سليمان بن سمرة (ابن صاحب الترجمة السابقة) ثقة ذكره ابن حبان في الثقات ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٨ (٣٣٥)، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٥٢.

(٨) ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ١٩٨ و٩/ ٢١٤.

openkandil.com

وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب صحيفة فيها صدقة السوائم[١].

وقد اشتهرت صحيفة علي بن أبي طالب التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وحرم المدينة، ولا يقتل مسلم بكافر[٢].

وروي عن مسعر بن كدام[٣] عن معن[٤] قال:

أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً، وحلف أنه بخط أبيه[٥] بيده[٦].

وكان عند سعد بن عبادة الانصاري (ت ١٥هـ) كتاباً أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ وقد روى ابن هذا الصحابي من كتب أبيه بعض أعمال الرسول ﷺ[٧].

وإذا أردنا استعراض تلك المدونات في عهد الصحابة ﷺ يطول بنا المقام وهذا القدر يكفي للاستدلال بأن التدوين قد بدأ في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة.

وبذا يرفع الخطأ الشائع، والإشكال المعروف، أن الحديث لم يدون إلا في أوائل القرن الهجري الثاني[٨].

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٣٥٤، الجزائري: توجيه النظر: ص ٣٤٨.

(٢) ينظر: مسند أحمد:/ ١/ ٨١، (فتح الباري ٤١ - ٤٢ (٦٧٥٥)

(٣) هو: مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي، أحد الأعلام كوفي كان من خيار الثقات ويسمى المصحف من إتقانه وكان مرجئيا (ت ١٥٢هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٨ - ١٩٠ (١٨٣)، تهذيب التهذيب ١٠ /١١٣ - ١١٥ (٢٠٩).

(٤) معن بن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي الكوفي، ثقة قليل الحديث لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٥٢ (٤٥١)، الخزرجي: المصدر السابق ص ٣٨٤.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٧٧ - ٧٩هـ) ينظر المصدران السابقان: ٦/ ٢١٥ - ٢١٦ (٤٣٣)، ص ٢٣٠.

(٦) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٢، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٥.

(٧) ينظر ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٢، عبد القادر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٨.

(٨) لقد ضل فريق من المستشرقين، وعدد من أنصارهم وتلامذتهم الذين يضاهون قولهم بأن السنة لم تدون إلا في أول القرن الثاني الهجري، أو في رأس المائتين وذلك للأمور الآتية :

أ- إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، لتعويل الناس في القرن الثاني الهجري على الكتابة.

ب- وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها. كما فهموا مسألة النهي عن الكتابة ==

وهذا الذي ذكرناه كان جهداً فردياً أو- ربما - جماعياً، ولكنه لم يرق إلى حد الكمال إلا بعد التدوين الرسمي.

٣ـ التدوين الرسمي:

إن فكرة التدوين كما ذكرنا فكرة قديمة تعود إلى عهد النبي ﷺ لكن التدوين الرسمي قد يعود - التفكير فيه - إلى عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين عرضت عليه فكرة التدوين، فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في كتابة السنن، فأشار عليه عامتهم بذلك، لكن عمر رضي الله عنه - خوفاً على كتاب الله - لبث شهراً يستخير الله في ذلك حتى عزم أن لا يفعل[١].

إن المحاولة الثانية بعد محاولة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه - حسب اطلاعنا - هي محاولة عبد العزيز بن مروان[٢] (ت ٨٥هـ) وكان أميرا لمصر في عهد عبد الملك بن مروان، حيث طلب رسمياً من إمام حمص وعاملها كثير بن مرة الحضرمي[٣] تدوين الحديث الشريف، وكان طلاباً للعلم حافظاً.

==

والأمر بها أنها تمثل وجهتي نظر لحزبين مختلفين وهما أهل الرأي (الفقهاء)، وأهل الأثر (أهل الحديث) فالحزب الأول لم يجوزوا كتابة الحديث، أما الحزب الثاني جوزوا ذلك ؟!، ينظر: صبحي الصالح: المصدر السابق ص ٣٣ -٣٨، (مقال) حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ) تأسيس علوم الشيعة، مجلة المنار العدد ١٠ ص ٧٥٤، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٦٤ - ٣٦٨، (مقال) الدكتور يوسف العش: نشأة تدوين العلم في الإسلام: مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥١، السنة السابعة ص ٩- ١٠ و ٢٢- ٢٣، الأعظمي محمد مصطفى: المستشرق - شاخت، والسنة النبوية، مناهج المستشرقين ١/ ٨١- ٨٧.

(١) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/ ٧٦، السيوطي: تنوير الحوالك، شرح مؤطأ مالك المكتبة الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ١/ ٤، السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٠٣، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٤٧.

(٢) عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو الأصبغ والد عمر - والي مصر، ثقة قليل الحديث ينظر الكندي: محمد بن يوسف بن يعقوب، توفي حوالي (٣٥٠هـ/ ٩٦٤م) كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م ص ٤٨ - ٥٥، الذهبي: العبر ١/ ٧٣، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥١٢ (١٢٥٠).

(٣) أدرك سبعين بدرياً، لا بأس به، ثقة، ومن عده من الصحابة فهو وهم (ت ٧٠-٨٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٥١ - ٥٢ (٣١) ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٣٣ (٣٢).

obeikandi.com

قال الليث بن سعد[١]: عن يزيد بن أبي حبيب[٢] أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي، وكان قد أدرك سبعين بدرياً، من أصحاب رسول الله ﷺ قال الليث:

وكان يسمى الجندي المقدام، قال:

فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة، فإنه عندنا.

وكانت إمارة عبد العزيز لمصر بين سنة (٦٥-٨٥هـ)[٣]، وقد بينا أن كثير مات بين سنة (٧٠-٨٠هـ) فلو فرضنا أنه توفي سنة (٧٥) لكان يفترض أن يكون طلب الأمير منه قبل هذا التاريخ ولو بزمن يسير.

المصادر لم تخبرنا عن امتثال وطاعة هذا العالم للأمير عبد العزيز، أو رفض طلبه، ولكن من المؤكد أن الأمير لا يطلب من شخص يعلم أنه يرفض طلبه أو لا يستجيب له، وإذا قلنا باستجابته للأمير فكم مقدار ما كتبه؟ وعن أي الصحابة كتب إليه؟ ثم أين ذهبت تلك الصحف والمدونات؟ ![٤]

ثم استقر الأمر في زمن ابنه عمر بن عبد العزيز واستطاع ﷺ أن يجمع لأول مرة في تاريخ المسلمين بشكل رسمي أحاديث رسول الله ﷺ وذلك بعد ظهور الوضع، وخوفه على خلط أحاديث الكذابين، بحديث رسول الله ﷺ، فكتب إلى الآفاق أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه، وفي رواية أخرى كتب إلى عامله أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[٥] (ت ١١٧هـ) على المدينة يقول[٦]: "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب

---

(١) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٧.

(٢) يزيد بن سويد أبو رجاء المصري، الإمام الكبير، ثقة فقيه (ت ١٢٨هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ١٢٩ - ١٣٠ (١١٦)، ٢/ ٣٦٣ (٢٣٧).

(٣) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٩٠، تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٣٩١، ٤١٢ - ٤١٦.

(٤) ينظر ابن سعد: المصدر السابق ٧/ ١١٧، الذهبي: سير إعلام النبلاء ٤/ ٤٦ - ٤٧. وينظر كذلك عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٧٤.

(٥) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٨٠ (١٠٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٢٩.

(٦) فتح الباري ١/ ١٩٤، البخاري: التاريخ الصغير ص ١٧٥. وينظر قريب من هذا الخبر: الدارمي: السنن ١/ ١٢٦، الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٦٠٣.

العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، وليفشوا العلم حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً".

سلك عمر بن عبد العزيز مسلكين في الموضوع.

المسلك الأول: مع ولاته وعماله كما بينا، **المسلك الآخر**: مع العلماء، حيث ناشدهم وكلفهم أيضاً بتدوين سنة رسول الله ﷺ، فأمر ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وغيره بجمع السنن[١].

والذي يتبين أن أمير المؤمنين عاجلته المنية قبل أن يرى الكتب[٢]، وقبل أن ير - كما يبدو- ثمار جهوده[٣].

حقق ابن شهاب الزهري هدف أمير المؤمنين عمر وأمنيته في الحياة، وفي ذلك يقول[٤]: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن - فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له سلطان عليها دفتر".

ولهذا يُعدُّ هذا العمل أول عمل رسمي من قبل المسلمين بتدوين السنة، وهو على رأس المائة، فدونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر وكثرت الصحف في أيدي طلاب الحديث[٥].

ثم توالت المصنفات والمجاميع في جمع أحاديث رسول الله ﷺ وفتاوى الصحابة والتابعين، وبدأ العلماء بتأليف أنواع من الكتب في البصرة والكوفة، والمدينة والشام وغيرها[٦].

ضوابط في الرواية من الحفظ والرواية من الكتب:

استخدم أئمة الحديث منهجاً دقيقاً لمن يروي الخبر، سواء من حفظه أو من الكتب، ومن ذلك المنهج:

---

(١) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٦، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ١/ ٢٢١ وقال: ولم نجد لأمره هذا أثراً فلعله عولج عنه ولم يأبه له من بعده، وينظر كذلك: الأدلبي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٣) ينظر التهانوي: قواعد التحديث ص ٤٧، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٣١.

(٤) ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٦.

(٥) ينظر السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٩٠، القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر المصري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إرشاد الساري، المطبعة الأميرية ١٣٢٥هـ ١/ ١٤، الجزائري: توجيه النظر ص ٦، التهانوي: المصدر السابق ص ٤٦، ومراد هؤلاء العلماء يختلف عن مراد المستشرقين الذين ذكرناهم ص ١٨٣.

(٦) ينظر تفصيل ذلك: السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٠٥ - ١٠٧، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

أنهم عرفوا بالتتبع والبحث والخبرة الطويلة عن الشخص الواحد، متى يقبل حديثه حفظاً، ومتى يكتب حديثه كتابة، وقد صنفوا الناس إلى أصناف عديدة في نقل الأخبار وعلى درجات.

أ ـ الرواية اعتمادا على الحفظ:

اشترط العلماء في قبول من يروي الخبر من حفظه شروطا دقيقة، ومن خلال تلك الشروط يمكن الأخذ بروايته أو ردها.

اعتبر عبد الرحمن بن مهدي، والإمام الشافعي، أنَّ مَنْ كَثَرَ غَلَطُه وكان الوَهْم غالباً على روايته ولم يكن له أصل كتاب صحيح لم يقبل حديثه.

يقول عبد الرحمن بن مهدي[١]:

"الناس ثلاثة: رجل حافظ، متقن، فهذا لا يختلف فيه، وآخر يهم، الغالب على حديثه الصحة، فهذا لا يترك حديثه، والآخر يهم والغالب على حديثه الوهم هذا يترك حديثه.

وسئل أيضاً هل يكتب عمن غلط في عشرة ؟ قال: نعم. قيل: يغلط في عشرين ؟ قال: نعم، قلت: ثلاثين ؟ قال نعم، قلت: فخمسين ؟ قال: نعم ".

ويبدو أن الذي يرفض حديثه كما يقرر الشافعي: من كثر غلطه[٢].

وكثرة الغلط يمكن اعتباره على القدر الذي يحمله من الحديث. فالذي يحفظ مثلا مائة ألف حديث، إذا غلط في مائة حديث فلا يعتبر سيئ الحفظ ولا ترد روايته مادام الغالب على حديثه الصحة كما ذكرنا.

ومن ذلك: التثبت في الرواية فقد قال محمد بن سيرين: التثبت نصف العلم[٣].

"ويجب أن يتثبت في الرواية حال الأداء، ويروي ما لا يرتاب في حفظه، ويتوقف عما عارضه الشك فيه"[٤].

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٢٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥٧.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٤، المصدر السابق ص ٢٥٦.

ومن مميزات الحفظ الجيد، على الكتابة، أن الحافظ المتقن قد يصحح عما يقع فيه صاحب الكتب من الغلط والإوهام.

عن يحيى بن معين قال[١]:

"حضرت نعيم بن حماد بمصر[٢]، فجعل يقرأ كتاباً من تصنيفه، قال قرأ منه ساعة ثم قال: ثنا ابن المبارك عن ابن عون[٣]، قال يحيى: فقلت له: ليس هذا عن ابن المبارك، فغضب وقال: ترد علي ؟

قال: قلت: إي والله أريد زينك، فأبى أن يرجع، قال: فلما رأيته هكذا لا يرجع، قلت: لا والله ما سمعت أنت هذا عن ابن المبارك، ولا سمعها ابن المبارك من حديث ابن عون قط، فغضب وغضب كل من كان عنده من أصحاب الحديث وقام نعيم فدخل البيت فأخرج صحائف، وجعل يقول: وهي بيده أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين بالحديث؟

نعم يا أبا زكريا، غلطت، وكانت صحائف فغلطت، فجعلت أكتب من حديث ابن المبارك عن ابن عون، وإنما روى هذه الأحاديث عن ابن عون غير ابن المبارك فرجع عنها".

وقد يقع الأمر عكس ذلك: حيث يقع الراوي في خطأ في حفظه ثم يراجع كتابه فيصحح ذلك.

عن يحيى بن سعيد، عن عبيد الله[٤]، عن نافع، عن ابن عمر[٥]:

"أنه كان يجمع بين العشاء والمغرب إذا جد السير بعدما يغيب الشفق ".

ويزعم أن النبي ﷺ (كان يجمع بينهما) قال: يحيى: حدثت بهذا الحديث ست عشرة سنة

---

(١) الكفاية ص ٢٣١.

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، الإمام الشهير، لكن ضعف مع إمامته (ت ٢٢٨هـ) ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٤/ الذهبي: الكاشف ٣/ ١٨٢ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤١٨ - ٤٢٠ (٤٢٤).

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني الإمام الحافظ الثقة (ت ١٥١هـ) ينظرالذهبي: تذكرة الحفاظ ١: ١٥٦ - ١٥٧ (١٥٢) ابن حجر: المصدر السابق ٥ / ٣٤٦ - ٣٤٩ (٦٠٠).

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم، أحد الفقهاء السبعة ثقة ثبت (ت ١٤٧هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٣٨ - ٤٠ (٧١) الخزرجي: المصدر السابق ص ٢٥٢.

(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما: (فتح الباري ٦/ ٣٩ (٣٠٠٠)، (شرح صحيح مسلم ٥/ ٢١٣).

بمكة فكنت أقول: قبل أن يغيب الشفق ثم نظرت في كتابي، فإذا: وبعدما يغيب الشفق[١].

وعن أبي الشعثاء[٢] قال:

الرجل أحق أن يغسل المرأة من أخيها قال سفيان: كنت قد نسيت هذا، حتى وجدته مكتوبا عندي بخطي[٣].

واشترطوا أيضاً فيمن يروى عن حفظه أن يكون أخذ علمه من المشتهرين.

قال عبد الرحمن[٤] بن يزيد بن جابر:

لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بطلب الحديث. ويقول شعبة: خذوا العلم من المشتهرين[٥].

ب- الرواية من الكتاب:

لم ير العلماء بأسا من الرواية من الكتب، حيث أن رأس مال الراوي كما قالوا: الصدق، فإذا نقل الراوي الصادق عن كتاب صحيح، فروايته مقبولة، عند جميع المسلمين[٦].

روى الخطيب عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال لبنيه وبني أخيه[٧]:

"تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، تكونوا كبارهم غداً فمن لم يحفظ منكم فليكتب".

وروى أيضاً عن مروان بن محمد[٨] يقول[١]:

---

(١) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ٣٨٨، الخطيب: المصدر السابق ص ٣٢٩.

(٢) جابر بن زيد الأزدي البصري أعلم الناس بالفتيا ثقة روى عن ابن عباس (ت ٩٣هـ) على ما ذهب إليه بعض أهل العلم ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٢-٧٣ (٦٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨ (٦١).

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٣.

(٤) ينظر ترجمته الفصل السادس ص ٤٠٨.

(٥) ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٢٨.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٢.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٤٥.

(٨) مروان بن محمد أبو بكر الطاطري: الزاهد العابد وثقه أبو حاتم (ت ٢١٠هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩ (٣٣٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٩٥ - ٩٦ (١٧٥)

obeikandl.com

"لا غنى لصاحب حديث عن ثلاثة: صدق، وحفظ، وصحة كتب، فإن كانت منه اثنتان، وأخطأته واحدة، لم يضره، إن كان صدوق وصحة كتب، ولم يحفظ، ورجع إلى كتب صحيحة لم يضره".

وروى أيضاً عن يحيى بن معين يقول: ينبغي للمحدث أن يتزر بالصدق ويرتدي بالكتب[٢].

قال ابن عمار[٣]:

"شريك، كُتُبُه صِحاحٌ، من سمع منه ومن كتبه فهو صحيح. وعن سفيان الراس[٤]: يسأل يزيد بن زريع[٥]، ما تقول في همام؟ فقال: كتابه صالح، وحفظه لا يساوي شيئاً"[٦].

ومن شرط صحة الرواية من الكتاب: أن يكون سماع الراوي ثابتاً وكتابه متقناً[٧].

قال الحميدي[٨]:

"فأما من اقتصر على ما في كتابه فحدث به، ولم يزد ولم ينقص منه ما يغير معناه، ورجع عما يخالف فيه، بوقوف منه عن ذلك الحديث أو عن الأسم الذي خولف فيه من الإسناد ولم يغيره، فلا يطرح حديثه فلا يكون ذلك ضاراً في حديثه إذا لم يرزق من الحفظ والمعرفة بالحديث ما رزق غيره إذا اقتصر على ما في كتابه ولم يقبل من التلقين".

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٤٠٥.

(٢) ينظر السمعاني: أدب الأملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ص ٤٧.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمار أبو جعفر الموصلي الحجة الإمام الثقة (ت ٢٤٢هـ) ينظر: الذهبي المصدر السابق ٢/ ٤٩٤- ٤٩٥ (٥١٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٢٦٥ - ٢٦٦ (٤٤٢).

(٤) هو سفيان الثوري: ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٤.

(٥) يزيد بن زريع أبو معاوية البصري، محدث البصرة ثقة (ت ١٨٢هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ (٢٤٢)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٢٥ - ٣٢٨ (٦٢٦).

(٦) ينظر ابن القيم: حاشية ابن القيم، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م ١/ ٢٦.

(٧) ينظر الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ٣٤٤.

(٨) المصدر نفسه ص ٣٤١.

obeikandl.com

وعن يحيى بن معين[١]:

"إذا صح عنده سماع ما تضمن كتابه في الجملة جاز له التحديث منه فلا يحتاج إلى أن يعتبر سماعه لكل حديث بانفراده على التفصيل والتعيين".

كتابة الحديث والحفظ منه:

هناك فريق من الناس يسمعون الحديث ثم يحفظونه، ثم يروونه بين الناس هل يجوز لهم ذلك؟ نعم، إن ذلك جائز بشرط إتقان الكتابة.

"ومن سمع الحديث وكتبه وأتقن كتابته ثم حفظ من كتابته فلا بأس بروايته"[٢].

وعن أبي عمارة المروزي[٣] قال:

سمعت وكيعا يقول[٤]:

"وجدت في كتابي، وأما سفيان فكان يحفظ من كتابه ثم يجيء فيحدثنا".

وقال علي بن المديني[٥]:

"ما رأيت أحدا أحفظ من يزيد بن هارون[٦]، قال: كان يزيد بن هارون يحفظ من كتاب، كانت له جارية تحفظه من كتاب. قلت: أي الخطيب، كان بصر يزيد بن هارون قد كف، فلذلك كان يأمر جاريه بتلقينه ويحفظ عنها".

الرواية عن الكتاب إذا ضاع أو خرج عن يده:

يجب على المحدث أن يحتفظ بكتابه، ويحرص عليه ولا يجعله في متناول الأيدي، خوفاً من أن يزاد فيه أو ينقص منه أو خوف ضياعه، فإذا خرج أو ضاع الكتاب من يده ثم رجع هل يحق له الرواية منه؟

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٤٢

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٤.

(٣) لعله قيس أبو عمارة الفارسي، مولى الأنصار، وثقه ابن حبان وضعفه العقيلي. توفي بين(١٥٠ - ١٦٠هـ). ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩٨ (٦٩٢٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٠٦ (٧٢٨).

(٤) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٥٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٩، الكفاية ص ٣٧٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٨، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٨.

(٦) يزيد بن هارون بن زاذي الواسطي الحافظ القدوة ثقة ثبت (ت ٢٠٦هـ) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧ - ٣٢٠ (٢٩٨)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٦٦ - ٣٦٩ (٧١١).

obeikandl.com

اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من توقف عن جواز الحديث منه، لكن الخطيب ذهب إلى أنه:

إن لم ير فيه أثر تغيير حادث من زيادة أو نقصان، أو تبديل وسكنت نفسه إلى سلامته جاز له أن يروي عنه، وقد أيّد رأيه بذلك، لإقرار يحيى بن سعيد، بعض المحدثين ضاع عنه كتبه، ثم وجدها بعد أربعين سنة فقال: وما بأس في بذلك؟[١].

إذا وجد الراوي في كتابه بخطه حديثاً فشك: هل سمعه أم لا ؟.

إذا شك في كتبه في حديث معين أنه ليس من خطه، أو لا يعرفه يجب حينئذ طرح ذلك الحديث، إذا عرفه، وإلا يجب التوقف وعدم التحديث بشيء مما في ذلك الكتاب.

قال عبد الرحمن بن مهدي[٢]:

"وجدت في كتبي بخط يدي عن شعبة ما لم أعرفه وطرحته".

وقال هيثم بن جميل[٣]:

"سمعت من شعبة سبعمائة حديث فشككت في واحد منها، تركتها كلها"[٤].

وقال الخطيب[٥]:

"إذا شك في حديث واحد بعينه أنه سمعه وجب عليه إطراحه، وجاز له رواية ما في الكتاب سواه، وإن كان الحديث الذي شك فيه لا يعرفه بعينه لم يجز له التحديث بشيء مما في ذلك الكتاب".

---

(١) ينظر ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٣٤٦، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٣، وينظر تفصيل ذلك الخطيب: الكفاية ص ٣٤٧ - ٣٥٠. وهذا كلام يؤخذ به، فيما إذا كان الزمان والمكان اللذان عثر فيهما على الكتب آمنان من أيدي الوضاعين، كما يشترط أن يعرف الشخص خط نسخة كتابة، وإلا لا يجوز ذلك.

(٢) الباجي: سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م) التعديل والجرح، تحقيق أبو لبابة حسين، الطبعة الأولى، دار اللواء - الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ٢/ ٨٦٥.

(٣) الهيثم بن جميل البغدادي، الحافظ الكبير، ثقة (ت ٢١٣هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٥٦ - ٥٧ (٧٣٩٥)، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٣ (٣٥٥).

(٤) ينظر ابن أبي حاتم: العلل ١/ ٩٠.

(٥) الكفاية في علم الرواية ص ٢٤٦.

هذا هو حال الحديث الواحد، عند أئمة الحديث، إذا شُكَّ فيه، بين عدد كبير من الأحاديث، أو في كتاب كامل! فما بال أكثر من الحديث الواحد إن وجد بين مئات من الأحاديث، أو في كتاب؟ .

لا شك أن التشدد فيه أقوى وأكثر، والاحتياط فيه أوجب، وإن دَلَّ هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على مدى الأمانة العلمية التي وصل إليها أئمة الحديث، ودقة صنعتهم وكمال عملهم، مما لا يوجد عند غيرهم من البشر[١].

وما يقال في كتب الحديث وروايته، يقال في كتب التاريخ وأشباهه من كتب التراث الإسلامي.

(١) ينظر روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص٩٢، ١٢١.

obeikandl.com

المبحث الثاني
أحوال الرواة

تمهيد:

إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم اهتموا بمعرفة رواة الحديث، وهذا الأمر كما سنذكر طرفاً منه، في الجرح والتعديل، كان من واجبهم الشرعي تجاه شرع الله، بمعرفة ما يستطيعون من خلاله التمييز بين الصادق منهم والكاذب، ومن أجل ذلك، درسوا حياة كل راوٍ بمفرده، منذ نشأته إلى وفاته، وتتبعوهم في مختلف حياتهم، وعرفوا جميع أحوالهم، من أصل ونسب وقبيلة، وولاء وكنية ولقب وعرفوا شيوخهم، وتلاميذهم وأماكن سكنهم، وبلدانهم ورحلاتهم، وانتقالاتهم من بلد إلى بلد، وعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط[(١)].

وهذا النوع من علم الحديث هو قريب جداً من بعض القواعد التي تدخل في النقد الداخلي في علم التاريخ[(٢)].

"ولا يكتب الخبر عن النبي ﷺ حتى يرويه ثقة عن ثقة حتى يتناهى الخبر إلى النبي ﷺ بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول أو رجل مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النبي ﷺ بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به، وترك مخالفته"[(٣)].

وجميع ما سنذكره في هذا المبحث عن أحوال الرواة، يمكن تطبيقه على الروايات التاريخية ورواتها، وعلى المؤرخين أيضاً، مع شيء من التساهل معهم، في رواياتهم التي لا تتعلق بقضيّة مهمّة من قضايا الدين؛ كالعقيدة والشريعة، ورجال السلف الصالح.

١ـ من تقبل روايته ومن ترد:

اشترط أئمة الحديث أربعة شروط لقبول رواية الراوي، وهي الشروط الرئيسية عندهم، وهي: الصدق، العدل، الضبط، واتصال السند.

---

(١) ينظر الخطيب: شرف أصحاب الحديث، تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر كلية الألهيات - جامعة أنقرة ص ٣٨

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٢٢١.

(٣) الكفاية ص ٥٧.

أ- **الصدق**: وهو أعظم ركن من أركان قبول الرواية، وركنه الركين، يقول الإمام مالك[١]: "لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك:

لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعوا الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به ".

ب- **العدل**: وهو: من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه، ومعروف بالصدق في حديثه[٢].

ذكر أئمة الإسلام أن المعيار في شأن العدالة هو رجحان كفة الطاعة على المعصية[٣]، وإلا فليس هنالك عالم ولا شريف إلا وفيه عيب.

يقول سعيد بن المسيب[٤]:

"ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذي سلطان، إلا وفيه عيب، لا بد، لكن من الناس من لا تذكر عيوبه، من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله "[٥].

وورد معنى ذلك، عن الصادق المصدوق ﷺ[٦]:

(أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلاَّ الْحُدُودَ).

وملخص **العدل** هو: المسلم البالغ العاقل، الذي سلم من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٧].

ج- **الضبط**: وهو: إتقان ما يرويه الراوي بأن يكون متيقظا لما يروي.

---

(١) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) المستصفى من علم الأصول، طبعة مصر ١/ ١٠٠، وينظر كذلك الجزائري: توجيه النظر ص ٣٦، وينظر كذلك أسد رستم: مصطلح التاريخ ص ٦٩.

(٢) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦٨، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٦٤.

(٣) وهو قول الإمام الشافعي، وسعيد بن المسيب، وابن المبارك، ينظر: الكفاية ص ١٣٧ - ١٣٨

(٤) سعيد بن المسيب (بالفتح والكسر) أبو محمد المخزومي - من أجلة التابعين، الإمام الفقيه الحجة (ت ٩٤هـ) على الصحيح ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ - ٥٦ (٣٨)، تهذيب التهذيب ٤/ ٨٤ - ٨٨ (١٤٥).

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٨١.

(٦) مسند أحمد ٥٥/ ٣٢٦ (٢٦٢١٧) أبو داود: السنن ٤/ ١٣١ (٤٣٧٥) صحيح ابن حبان ١/ ٢٩٦ (٩٤).

(٧) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٤٩، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٨٧.

ومن علامات الضبط أن لا توجد فيه خمس خصال، فإذا كان فيه خصلة من هذه الخصال يعتبر مختل الضبط كما ذكرها العلماء.

قال ابن الصلاح [١]:

"لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماعه، أو في إسماعه كما لا يبالي به في السماع، أو يحدث لا من أصل مصحح، أو عرف بقول التلقين في الحديث، أو كثر السهو في روايته إذا لم يحدث من أصل، أو كثر الشواذ والمناكير في حديثه".

ووضع أئمة الحديث قاعدة مهمة في معرفة الضابط من غير الضابط وفي ذلك أيضاً يقول ابن صلاح أيضاً [٢]:

"يعرف كون الراوي ضابطاً بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطاً ثبتاً وأن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه".

ومن الممكن تطبيق هذه القاعدة على الروايات التاريخية وكتابات المؤرخين أيضاً، في حال وجود الإسناد لديهم، بهذه الشروط، أو موافقة أخبارهم ونقولهم لنقول وأخبار المؤرخين الثقات وكتبهم، في حال عدم وجود رواية مسندة، وإذا كان نقولهم وأخبارهم الغالب عليها موافقة روايات ونقول غير الثقات، كالمتهمين، والضعفاء والمتروكين فلا يمكن الركون إلى نقولهم أو قبولها، إلاّ في حالات استثنائية ذكرنا بعضها في الصفحات الماضية، شرط أن لا تتعلق هذه الروايات والنقول بقضيّة عقدية أو تشريعية أو بأحد رجال السلف الصالح من هذه الأمة، خاصّة إذا كانت الرواية يشتم منها رائحة الزندقة والشعوبية والحقد على الأمة.

د- **اتصال السند:** واتصال السند أيضاً شرط من شروط قبول الرواية فالحديث المنقطع ومجهول السند مردود.

"ولا يجوز الاحتجاج إلا بالحديث الموصول غير المنقطع الذي ليس فيه رجل مجهول ولا رجل مجروح" [٣].

---

(١) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٧، وينظر كذلك السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٣٣٩.

(٢) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٠.

(٣) الخطيب: الكفاية ص ٥٦.

٢ـ من كره العلماء الرواية عنهم:

أ ـ يكره الرواية عمن لم يكن من المشتهرين:

وهو مذهب أهل الحديث إجماعاً كما ذكره الشافعي لكل علم له أصول وقواعد، وله أسس، كما أن لكل علم أهل فمن لم يأخذ العلم من أهله ضل نفسه وأضل الناس عن طريق الله، ولذا كان السلف كثيراً ما يحذرون من هذا الأمر يقول عبد الرحمن يزيد بن جابر [١]: "لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بطلب الحديث".

ويقول شعبة[٢]:

"خذوا العلم من المشتهرين".

وحذر الإمام مالك أن يؤخذ العلم من كل محدث أو كل قائل يقول(رحمه الله)في رسالة إلى أحد أصحابه[٣]:

"فإني أوصيك بتقوى الله ... ثم أخذه - يعني العلم - من أهله ورثوه ممن كان قبلهم يقيناً بذلك، ولا تأخذ كلما تسمع قائلاً يقوله، فإنه ليس ينبغي أن يؤخذ من كل محدث، ولا من كل من قال، وقد كان بعض من يرضى من أهل العلم يقول: إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون عنه دينكم".

وما يقال هنا للمحدّث يقال للمؤرخ سواء بسواء، فإذا وجدنا اعتماد المؤرخ في نقله للأخبار على غير المشتهرين بالتاريخ، والروايات التاريخية، كاعتماده في أخباره على أهل المجون، والأغاني، والخصيان، والخدم، أو الزنادقة، والشعوبيين، والمتشيّعين التابعين للمجوس، أو روى ونقل أخباره من أهل الأدب، أو الأسمار وأمثالهم فلا يمكن قبول روايته والاطمئنان إليه.

ب ـ كراهة الرواية عن الضعفاء:

اختيار الثقات الأمناء هو دين المسلم، ومن أجل ذلك فإن أئمة الحديث تركوا روايات كثيرة من الناس، وفيهم العلماء، والفضلاء، والعباد لا لشيء إلا لضعفهم.

---

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال [١]:

"إني لأسمع الحديث أستحسنه، فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أن يسمعه سامع فيقتدى به، وذاك أني أسمعه من الرجل لا أثق به، وقد حدث به عمن أثق به، أو أسمعه من رجل أثق به عمن لا أثق به، فأدعه لا أحدث به".

وقال مالك [٢]:

"دخلت على عائشة بنت سعد بن أبي وقاص [٣]، فسألتها عن بعض الحديث فلم أرض أن آخذ عنها شيئاً لضعفها".

ويجب على المؤرخ المسلم أن لا يكتب خبراً سمعه أو نقلاً رآه ممن الغالب عليهم، الضعف وقلّة الدين والمروءة، أو ينقلون ذلك من مثل هؤلاء ولو كانوا ثقاتاً أو جيدين.

ج. كراهة الرواية عن أهل المجون:

ومن مناهجهم أنهم إذا أرادوا الرواية عن رجل، نظروا إلى صلاته وعبادته، وإلى سمته وهيئته [٤].

ويدخل من ضمن هؤلاء، الثرثارون، المتشبهون بالنساء، والذين يكثرون المزاح وكذلك من يعمل عملاً من أجل أن يضحك الناس وغيرها قال يحيى بن معين: عن شخص يقال له ابن مناذر [٥]:

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص ٢١٠.

(٢) الخطيب: المصدر السابق ص ٢١١.

(٣) الزهرية المدنية (ت ١١٧هـ) وهي ثقة وثقها غير واحد من أئمة الحديث ولعل رواية تضعيف مالك لها، شيء انفرد به هو - وأما أنها وهم من النساخ وإلا لم أجد بعد شيء من التحري من يضعفها. ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام. ص ٣٩٢ (حوادث ١٠١ - ١٢٠هـ)، العبرفي خبر من غبر ١/ ١١٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٣٦ (٢٧٤٢).

(٤) ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ١٦.

(٥) محمد بن مناذر اليربوعي (ولاء) أبو جعفر شاعر من أهل اللهو والمجون (ت ١٩٨هـ) ينظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، طبعة مصر ١٣٦٤هـ ص ٣٦٤، ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ١٠٧ - ١١٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤ / ٤٧ (٨٢٠٥)، ابن حجر: لسان الميزان ٥/ ٣٩٠.

"أعرفه كان صاحب حديث، وكان يتعشق ابن عبد الوهاب الثقفي[١]، ويقول فيه الأشعار ويشبب بالنساء، وطردوه من البصرة.

وكان يرسل العقارب في المسجد الحرام حتى تلسع الناس وكان يصب المداد بالليل في المواضع التي يتوضأ منها حتى تسود وجوه الناس ليس يروي عنه رجل فيه خير "[٢].

قال يحيى القطان: سمعت النضر بن مطرف[٣] يقول[٤]:

"إن لم أحدثكم فأمي زانية، قال يحيى: تركت حديثه لهذا".

٣ـ من ترك العلماء الرواية عنهم:

أ ـ ترك رواية الكذاب ولو بعد التوبة:

أن الكذب في حديث رسول الله ﷺ ليس كالكذب في حديث غيره.

وردت أحاديث كثيرة في تشدد الكذب على رسول الله ﷺ، ومن أجل ذلك شدد أئمة المسلمين في ذلك تشديداً كبيراً، إلى حد أنهم ردوا رواية الكذاب حتى بعد التوبة.

"فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه يوجب، رد الحديث أبداً، وإن تاب فاعله "[١].

---

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك أبو محمد الثقفي، ثقة من رواة البخاري اختلط بآخر (ت ١٩٤هـ) ينظر ابن حبان: الثقات ٦/ ٧١ (٣٦٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٤ (٣٠١) أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ٢/ ٩١٩ (٩٩٧)

(٢) الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٤٧، ومن ذلك أن أبا داود السجستاني كان لا يروي عن أحمد بن المقدام (أبو الأشعث)، فقيل له في ذلك فقال: لأنه يعلم المجان المجون، كان مجان البصرة يصرون صرر الدراهم، يطرحونها على الطريق، ويجلسون ناحية فإذا مر - يعني رجل - بصره، أراد أن يأخذها، صاحوا: ضعها ليخجل الرجل فعلم أبو الأشعث المارة بالبصرة: هيئوا صرر الزجاج كدرهم، فإذا مررتم بصررهم فإردتم أخذها فصاحوا بكم فاطرحوا صرر الزجاج التي معكم وأخذوا صرر الدراهم ففعلوا ذلك، فأنا لا أحدث عنه لهذا، ينظر: الكفاية ص ٢٤٦.

(٣) النضر بن مطرق (وهو الصحيح) أبو لينة كوفي ليس بثقة، تركوا حديثه ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٩١، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٧، الذهبي: المغني ٢/ ٦٩٨، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٣، (٩٠٨٦)، ابن حجر: لسان الميزان ٦/ ١٦٥.

(٤) البخاري: المصدر السابق ٨/ ٩١، الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٢٦٣.

obeikandl.com

وسئل الإمام أحمد عن محدث كذب في حديث واحد، ثم تاب ورجع، قال[٢]:

"توبته فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ولا يكتب حديثه أبداً".

وقال ابن المبارك [٣]:

"من عقوبة الكذب أن يرد عليه صدقه".

ويبدوا أن هذا الحكم يخص من تعمد الكذب أما من لم يكن كذلك فتقبل توبته.

"قلت هذا هو الحكم فيه، إذا تعمد الكذب وأقر به"[٤]، أما إذا روى المحدث خبراً ثم رجع عنه وقال: كنت أخطئ فيه، وجب قبوله: لأن الظاهر من حال العدل الثقة الصدق في خبره فوجب أن يقبل رجوعه عنه كما تقبل روايته، وإن قال: كنت تعمدت الكذب فيه، لا يعمل بذلك الخبر ولا بغيره من روايته[٥].

ب- ترك الرواية عمن اختلط وتغير[٦].

ج- ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ، والمناكير، والغرائب من الأحاديث.

استدل أئمة الحديث بأن من يغلب على حديثه الأنواع المذكورة من الأحاديث، أنه رجل شاذ، يأتي بغرائب، و شذوذ الروايات والأخبار، ومن كانت هذه مهنته فالأولى ترك الرواية عنه.

قال شعبة [٧]:

"لا يجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ".

وقال إبراهيم بن أبي عبلة [١]:

---

(١) الكفاية ص ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٤، وينظر: أقوال أخرى لأئمة الحديث في هذا الموضوع الخطيب: المصدر السابق ص ١٩٠- ١٩١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩١.

(٦) ينظر ص ٣٦١، ٣٩٠.

(٧) تدريب الراوي ١/ ٣٣٩.

"من حمل شاذ العلماء حمل شراً كثيراً" [٢].

ويقول أبو نعيم [٣]:

"كان عندنا رجل يصلي كل يوم خمسمائة مرة، سقط حديثه في الغرائب".

وقال الإمام أحمد [٤]:

"شر الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمد عليها".

د- ترك الرواية عمن كان الوهم غالبا على روايته:

يقول عبد الرحمن بن مهدي [٥]:

"لا يترك حديث رجل إلا رجلاً متهماً بالكذب، أو رجلاً الغالب عليه الغلط".

ويشمل ذلك من كان سيء الحفظ ويروي عن حفظه.

قال الشافعي [٦]:

"ومن كثر غلطه من المحدثين، ولم يكن له أصل كتاب صحيح لم يقبل حديثه، كما يكون من أكثر الغلط في الشهادة لم تقبل شهادته".

هـ- ترك الرواية عمن لم يكن من أهل الضبط والرواية:

وهذه قاعدة أخرى من القواعد المهمة التي سلكها أئمة نقد الحديث حيث أن الزهد والتقوى والصلاح والعبادة، تعتبر كلها شأناً خارجاً عن الرواية، إن لم يكن معها الضبط والدراية

---

(١) إبراهيم بن أبي عبلة، شمر بن أبي يقظان العقيلي أبو إسماعيل، وثقه جمع من أئمة الحديث (ت ١٥٢هـ) ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٣٥٤ (حوادث ١٤١ - ١٦٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ١٩ - ٢٠.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٥٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٤.

(٣) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٦.

(٤) ابن مفلح: برهان الدين، إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٩٩٠ م ٢/ ٢٣٩.

(٥) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٦، ١٠، الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٧، ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ ١/ ٢٨٤.

(٦) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٨.

obeikandl.com

بل قد يأتي عن طريق هؤلاء بعض المفاسد، قد لا يأتي عن طريق غيرهم[١]، لذا حذر أئمة الحديث من ذلك.

قال يحيى القطان [٢]:

"ما رأيت الصالحين في شيء أشد فتنة منهم في الحديث، وقال أيضاً: أئتمن الرجل على مائة ألف، ولا ائتمنه على حديث".

وقال ابن أبي الزناد عن أبيه[٣]:

"أدركت بالمدينة مائة، كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم شيء من الحديث يقال: ليس من أهله"[٤].

قال سفيان بن عيينة [٥]:

"كان بالكوفة شيخ صالح عنده أربعة عشر حديثاً يعرف بها، على أنه لم يكن عنده غيرها، فلما كان بعد زادت آخر، فقيل له: من أين هذا ؟ فقال: من رزق الله عز وجل".

و- ترك الرواية عمن عرف عنه بالتساهل في الرواية:

لعل العلة في ذلك من أن المتساهل يخلط الغث بالسمين، كما أن الناس إذا رأوا المتساهل يدسون في حفظه وفي كتبه إن كان من أهل الكتب.

ولذا اتهم ابن لهيعة - بعد أن احترقت كتبه - وكان سيئ الحفظ، بكثرة المناكير.

"كان عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ، واحترقت كتبه وكان يتساهل في الأخذ وأي كتاب

---

(١) ينظر ص ٢٩٩.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٠٢، الكفاية ص ٢٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ابن أبي الزناد المدني، الحافظ الإمام، المفتي الفقيه أختلف في توثيقه وتضعيفه (ت ١٧٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٨ - ٢٣٠ (٥٣٥٩)، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨ (٢٣٤)، وابوه عبد الله بن ذكوان المدني: أمير المؤمنين في الحديث وثقه جماعة (ت ١٣١هـ) على أصح القولين ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٣٤ - ١٣٥ (١٢١)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٣ - ٢٠٥ (٣٥١).

(٤) المحدث الفاصل ١/ ٤٠٧، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٦٩.

(٥) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٥٠.

جاءوا به حدث منه، فمن هناك كثرت المناكير في حديثه "[١].

ز- ترك حديث أهل الغفلة:

حذر كثير من أهل العلم من أحاديث أهل الغفلة وذلك لعدم قدرته على تمييز الصحيح من الضعيف أو من الموضوع، فيختلط عليه ذلك.

قال ابن عباس[٢]:

"لا يكتب عن الشيخ المغفل".

يقول الخطيب [٣] عن محمد بن خالد بن عبد الله الطحان[٤]:

"(صدوق غير أنه مغفل. سئل عنه يحيى بن معين فقال: صدوق، قال: أبو علي[٥]: كان أبوه خالد[٦] كتب الأحاديث يسمعها فلم يسمعها، فجعل ابنه هذا يحدث بتلك الأحاديث حتى قيل له: إن هذه الأحاديث لم يسمعها أبوك ".

وسئل عبد الله بن الزبير الحميدي عن الغفلة التي يروى بها حديث الرضا الذي لا يعرف بكذب فقال[٧]:

"هو أن يكون في كتابه غلط، فيقال له في ذلك، فيترك ما في كتابه ويحدث بما قالوا أو يغيره في كتابه بقولهم لا يعقل فرق ما بين ذلك، أو يصحف ذلك تصحيفاً فاحشاً يقلب المعنى، لا يعقل ذلك، فكيف عنه".

---

(١) ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٧. وسنذكر ذلك في فصل العلل بالتفصيل.

(٢) الكفاية ص ٢٣٣.

(٣) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٣٣.

(٤) الواسطي ضعيف له مناكير، وقد اتهم بالكذب (ت ٢٤٠هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٣ (٧٤٦٧)، الخزرجي: المصدر السابق ص ٣٣٤ ولعل قول ابن معين هذا (صدوق) كان قبل أن يطلع على كذبه، وإلا فقد كذبه في مكان آخر، ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٥٣٣.

(٥) صالح بن محمد بن عمرو أبو علي الأسدي خرزة، الحافظ الكبير مرجع أهل الأثر، الثبت (ت ٢٩٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢ - ٣٢٨ (٤٨٦٢)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤١ - ٦٤٣ (٦٦٤)، العبر ١/ ٤٢٥، وقد قلب بعضهم خرزة وجعلها جزرة.

(٦) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد، الحافظ، الواسطي الطحان، كان عالماً صالحاً، قانتاً لله، ثقة (ت ١٧٩ - ١٨٢هـ)- ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩-٢٦٠ (٢٤٦)، ابن حجر: ربما تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٠-١٠١ (١٨٧).

(٧) المصدر نفسه ص ٢٣٣.

ح- ترك الرواية عمن عرف بالتلقين:

قال يحيى القطان[١]:

" إذا كان الشيخ إذا لقنته، قبل فذلك بلاء ".

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول[٢]:

"دخلت الكوفة فحضرني أصحاب الحديث وقد تعلقوا بوراق سفيان بن وكيع[٣]، فقالوا: أفسدت علينا شيخنا وابن شيخنا، قال: فبعثت إلى سفيان، بتلك الأحاديث التي أدخلها عليه وراقه، يرجع عنها، فتركته".

وقال الأعمش:

"كان بالكوفة شيخ يقول: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول:

إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، يرد إلى واحدة، والناس عنقاً واحداً في ذلك يأتونه ويسمعون منه، قال: فأتيته فقرعت عليه الباب، فخرج إلي شيخ فقلت له: كيف سمعت من علي بن أبي طالب يقول: إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد ؟.

قال سمعت علي بن أبي طالب:

فإنه يرد إلى واحد قال: فقلت له: أنّى[٤] سمعت هذا من علي؟

فأخرج إليّ كتاباً فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت من علي بن أبي طالب يقول: (إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فقد بانت منه، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره).

قال: قلت: ويحك هذا غير الذي تقول ؟ قال: الصحيح هو هذا لكن هؤلاء أرادوني على ذلك "[٥].

---

(١) العقيلي: الضعفاء ١/ ١٧٤.

(٢) الكفاية في علم الرواية ص ٢٣٧.

(٣) سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرواسي ليس بشيء، وراقه أفسد عليه حديثه (ت ٢٤٧هـ)، ينظر: ابن حبان: المجروحين ١/ ٣٥٩، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٢٣١، الذهبي: المغني ١/ ٢٦٩.

(٤) لعله أنا سمعت هذا من علي، حتى يستقيم المعنى.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٤ـ رواية المبتدع:

البدعة في اللغة: ما أحدث على غير مثال سابق[١].

وفي الاصطلاح: كل عمل لم يدل عليه دليل شرعي فإذا دل عليه دليل شرعي، فليس ببدعة وإن سمي بدعة في اللغة[٢].

والبدعة أنواع:

أـ البدعة الكبرى والتي توجب الكفر:

وهذا النوع من البدعة لابد أن يكون متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة[٣]، وذلك كغلاة الروافض، ممن يؤمن بالرجعة، أي رجوع علي ﷺ إلى الدنيا قبل يوم القيامة، أو دعوى حلول أو تجسيم الألوهية في علي وأولاده ﷺ، أو وقوع التحريف في القرآن أو نسبة التهمة إلى السيدة عائشة ﷺ فهؤلاء باتفاق المسلمين دون استثناء روايتهم مردودة قطعاً، لأن بدعتهم توجب الكفر[٤].

يقول الإمام الذهبي[٥]:

"ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر ﷺ والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولاكرامة وأيضاً فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً بل الكذب شعارهم والتقية دثارهم فكيف يقبل نقل من هذا حاله!. حاشا وكلا ؟!".

ثم يشرح الذهبي معنى الغلاة، والغالي، من هذه الفرقة في زمن الصحابة، والتابعين، والسلف،

---

(١) ينظر ابن منظور: اللسان ١/ ١٧٤ - ١٧٥، الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الحديث القاهرة - ٣/ ٥٢ - ٥٣.

(٢) ينظر ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت ص ٢٧٦ - ٢٧٧، الشوكاني: نيل الاوطار ٣/ ٥٣.

(٣) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٣٢٧، قال الحافظ ابن حجر: ذلك لأن كل طائفة تدعي أن مخالفها مبتدعة وقد تبالغ فتكفر مخالفيها، فلو أخذ ذلك على الأطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف، والمعتمد أن الذي ترد بدعته روايته: من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، أو اعتقد عكسه، ينظر: التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ١٢٧.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٥ الهامش٥، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٢٧، ٢٣١.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٦، وينظر كذلك ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٢٨.

وفي زمنه - رحمه الله - فيقول[١]:

"الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير[٢] وطلحة[٣] ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال معثر".

وكيف لو رأي الإمام الذهبي شيعة الأعصر التي تلا عصره، وعصرنا هذا، فماذا كان يكون حكمه فيهم وفي سماع روايتهم أو النقل منهم، ومن كتبهم ؟.

ب- البدعة الصغرى وهي التي لا توجب الكفر:

- المنع مطلقاً:

ذهب جماعة من أهل العلم[٤] بأن رواية المبتدع ترد في كل الأحوال لأنه فاسق ببدعته، وكما استوي في الكفر، المتأول، وغير المتأول، يستوي كذلك في الفسق المتأول وغير المتأول. وهذا كما ذهب إليه المحققون من أئمة الحديث مجانب للحق ومباعد للشرائع، ولو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة واضحة، كما أن كتب الحديث - ومنها الصحيحين- طافحة من روايات هؤلاء في الشواهد والأصول[٥].

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٦ وفي لسان الميزان، ضال مفتر، ينظر ١/ ١٠.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته، أحد العشرة المبشرين بالجنة قتله عمرو بن جرموز سنة (٣٦هـ) يوم الجمل ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٨٠ - ٥٨٤، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٤٥ - ٥٤٦ (٢٧٨٩)

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي أحد العشرة المبشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام قتل سنة (٣٦هـ) يوم الجمل ينظر: المصدران السابقان ٢/ ٢١٩ - ٢٢٥، ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠ (٤٢٦٦).

(٤) ومن هؤلاء ابن سيرين، ومالك، وابن عيينة، الحميدي، يونس بن أبي إسحاق، علي بن حرب، الحسن وغيرهم وحجتهم:

أ - لكفر أهل الأهواء، وفسقهم، وفيه خلاف مشهور.

ب- الإهانة لهم والهجران والعقوبة وترك الرواية عنهم، وإن لم نحكم بكفرهم أو فسقهم.

ج- إن الهوى والبدعة لا يؤمن معه الكذب لا سيما إذا كانت الرواية مما تعضد هوى الراوي. ينظر: ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤-٥٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤.

ومن ذلك التشيع بلا غلو ولا تحريف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق[١].

مبتدع داعية إلى بدعته:

ذهب كثير من أهل العلم، بل قد ادعى ابن حبان إجماع أهل العلم النقل عليه، أن رواية الداعية لا تقبل[٢]، وذكر ابن الصلاح وغيره أن هذا أعدل الآراء وأولاها وأصوبها[٣].

لكن يبدو أن هذا ليس إجماع الجميع، بل هناك من فصل في الداعية إلى بدعته وقال: أن اشتملت رواية الداعية على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهراً فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل[٤].

وذكر السيوطي عن الحافظ العراقي أنه: اعترض على اشتراط أن لا يكون داعية بأن الشيخين احتجا بالدعاة مثل عمران بن حطان[٥] وغيره[٦].

والذي يظهر أن سبب قبول أئمة الحديث لروايات مثل: عمران.

---

(١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥.

(٢) وممن فرق بين الداعية وغيره، ابن المبارك، وابن مهدي، أحمد بن حنبل، يحيى بن معين، وروي عن مالك، ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٥، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٠.

(٤) ينظر ابن حجر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، المطبعة المنيرية ١٣٤٧هـ ٢/ ١١١.

(٥) عمران بن حطان السدوسي، صدوق، كان على مذهب الخوارج، ويقال رجع عن ذلك (ت ٨٤هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٨٢-٨٣ الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٩٥.

(٦) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٣٢٦، والذي يبدو أن هناك فرقاً شاسعاً بين الروافض وبين الخوارج وغيرهم من أهل البدع لأن الروافض باتفاق الأئمة أكذب الملل والفرق المبتدعة، ولذا اعتبروا الداعية منهم في كل الأحوال كذاباً لا تقبل منه الرواية.

قال الذهبي: وترد رواية الرافضي الداعية ولو كان صدوقاً، وقال أيضاً: قال أشهب: سئل مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم ولاترو عنهم فإنهم يكذبون، وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: لم أر أشهد بالزور من الرافضة، وقال مؤمل بن أهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: يكتب عن كل صاحب بدعة، إذا لم يكن داعية إلا الرافضة، فإنهم يكذبون. وقال محمد بن سعيد إلا صبهاني: سمعت شريكاً يقول: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث فيتخذونه ديناً. ينظر: الكفاية ص ٢٠٣ - ٢٠٥، ابن الصلاح: المقدمة: ص ٥٤، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٢٧ -٢٨، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٠.

أولا: أن الروايات التي نقلوها عنهم ليست من الروايات التي تؤيد أو تزين مذهبهم - كما سبق- .

ثانيا: أن الخوارج بالأخص لا يستحلون الكذب، بل يعدونه من الكبائر، وصاحب الكبيرة، مخلد في النار على معتقدهم، فكيف يستحلون أو يجوزون الكذب ؟.

وقد نقل أئمة الحديث بأنهم أصدق الناس في الروايات، لذا قبلوا رواياتهم دون روايات غيرهم[١].

يقول الخطيب[٢]:

"والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم، ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل، ثم استمرار عمل التابعين، والخالفين، بعدهم على ذلك، لما رأوا من تحريهم الصدق وتعظيمهم الكذب وحفظهم أنفسهم عن المحظورات من الأفعال وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم ".

مبتدع غير داعية إلى بدعته:

ذهب كثير أو أكثر العلماء إلى قبول رواياتهم، وقد طفحت كتب الأوائل بذكر أحاديثهم[٣].

---

(١) يقول الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث، ليس في أصحاب الأهواء أصح حديث من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبي حسان الأعرج، ينظر: الخطيب: المصدر السابق ص ٢٠٧، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٧.

(٢) الكفاية ص ٢٠١، ثم ذكر الخطيب، طائفة ممن اخذ السلف والخلف من رواياتهم من أهل البدع فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج وعمرو بن دينار وكان يذهب إلى القدر والتشيع، وكان عكرمة اباضيا، وابن أبي نجيح كان معتزليا وعبد الوراث بن سعيد، وشبل بن عباد، وسيف بن سليمان، وهشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، وسلام بن مسكين، وكانوا قدرية، وعلقمة بن مرثد، وعمرو بن مرة، ومسعر بن كدام، وكانوا مرجئة، وعبيد الله بن موسى، وخالد بن مخلد وعبد الرزاق بن همام، وكانوا يذهبون إلى التشيع في خلق كثير يتسع ذكرهم دون أهل العلم - قديما وحديثا - رواياتهم، واحتجوا باخبارهم، فصار ذلك كالاجماع منهم وهو أكبر الحجج في هذا الباب، وبه يقوى الظن في مقاربة الصواب. ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤ - ٥٥، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٢ -٩٥، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٠.

وما أحسن قول الإمام محمد بن جرير الطبري[١]:

"لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعي به وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنهم".

وهو مذهب معتدل بين المذاهب المختلفة.

ذكر ابن حجر:

أن عدد من رمي من رجال البخاري بطعن في الاعتقاد بلغوا (٦٩) راوي[٢].

وذكر السيوطي إحصائية بأسماء من رمي ببدعة ممن أخرج لهم البخاري ومسلم أو أحدهما فبلغ عدد من رمي بالإرجاء (١٤) ومن رمي بالنصب[٣] (٧)، ومن رمي بالتشيع (٢٥)، ومن رمي بالقدر[٤] (٣٠)، ومن رمي برأي جهم[٥] (١)، ومن رمي بالحرورية[٦] وهم الخوارج (٢)

---

(١) ابن حجر: هدي الساري ٢/ ١٥١ (ترجمة عكرمة)، اللكنوي: محمد عبد الحي الهندي (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م ص ٢٣٥.

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٧٩.

(٣) الناصبة: هم الذين يناصبون علياً وآله بالبغض، وقد انقرض هؤلاء في العالم الإسلامي، ولم يبق لهم وجود. ينظر: الرازي: أبو حاتم أحمد بن حمدان، توفي بعد القرن الثالث، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (القسم الثالث)، تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، الطبعة الثانية، الدار العربية - بغداد ١٩٨٢م (مطبوع مع كتاب الغلو والفرق الغالية) ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

(٤) سموا بذلك لأنهم قالوا أن العباد يفعلون ما لا يريده الله، ولم يقدره من أفعال الشر، مثل القتل والزنا وغير ذلك، وقالوا: هذا ليس بقدر الله، وقد قدر العباد على ما لا يريده الله من هذه الأعمال، أي إنها تجري أعمالنا على قدر الله. ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٢. فتاح: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة أسعد - بغداد ص ٢٧٤.

(٥) هم أصحاب جهم بن صفوان وهم من الجبرية الخالصة، وكان يكفر أهل التشبيه، ويظهر القول بخلق القرآن، ويعتقد أن الإيمان لا يتبعض وأن إيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد. ينظر الرزاي: المصدر السابق ص ٢٦٨، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٨٦ - ٨٨. وينظر بحثا مفصلا حول جهم والجهمية: العسلي: خالد، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٥م.

(٦) وسموا أيضاً، بالمارقة والشراة والمحكمة، ويقال لهم الحرورية، لأنهم نزلوا بحروراء، موضع بالنهروان، وسموا الخوارج إما لخروجهم عن الدين أو لخروجهم عن الإمام الحق، لكن الخوارج يرون أنهم خرجوا في سبيل الله. ينظر الرازي:كتاب الزينة ص ٢٧٦ - ٢٨٥، الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت

ومن رمي بالوقف[١] (١)، ومن رمي بالحرورية من الخوارج القعدية[٢] (١)، ومجموعهم (٨١) رجلاً[٣].

لكن الشرط الذي اشترط عليهم العلماء هو: إذا لم يستحلوا الكذب أو يتهموا به[٤].

دقة المحدثين في تتبع أحوال الرواة:

دقق أئمة الحديث في أحوال الرواة من نواحي عديدة وقد بينا بعضها في مواضع أخرى، وتكملة لذلك نبين أهم المواطن التي سلط العلماء فيها الضوء على أحوال الرواة.

١ـ سن التحمل وسن الأداء:

إن السماع والأداء من المسلم البالغ العاقل الضابط لما سمعه به وأدائه، صحيح متفق عليه[٥]. لكن ما هو السن المستحب والمحبذ لدى العلماء وقت السماع والتحمل، وما هو السن المستحب وقت الأداء؟

أ ـ سن التحمل:

استحب أكثر علماء الحديث، سماع الحديث بعد العشرين، أما قبل هذا الوقت فاستحبوا له

==

٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٤ م ص ١٩١، عرفان عبد الحميد: المصدر السابق ص ٨٤ - ٩٩.

(١) وهم فرقة من الإسماعيلية، ويقال لهم الممطورة، وسموا بذلك لأنهم وقفوا على القول بإمامة محمد بن إسماعيل، وأنكروا إمامة علي بن موسى بعده. ينظر الرازي: المصدر السابق ص ٢٨٩ - ٢٩٠، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) ويسمون النجدات أيضاً وهم أصحاب نجدة بن عامر، وسموا بالقعدية إما لأن نافع بن الأزرق (وهو أحد رؤوسائهم) كفر مجموعة منهم لقعودهم عن الجهاد أو لأنهم كانو يعتقدون أن الجهاد غير واجب بل جائز. ينظر المصدران السابقان: ص ٢٨٥، ١/ ١٢٢ - ١٢٥.

(٣) ينظر السيوطي: المصدر السابق ١/ ٣٢٨، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٣٠.

(٤) ومن هؤلاء: أبو حنيفة، والشافعي، ويحيى القطان، وعلي بن المديني، وقال ابن المديني: لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب. ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٦، وينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص٥٤.

(٥) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٩٩.

obeikandl.com

تعلم الأخلاق، والعبادة وذلك من أجل التدريب على الصبر، والتقوى، والتهيؤ النفسي والعقلي، للتعامل، وتحمل سنة رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥].

وتحمل سنة رسول الله ﷺ أيضاً، يحتاج إلى أناس صحيحي العقيدة، عظيمي الأخلاق، ملئى قلوبهم بتقوى الله، والزهد في الدنيا، رهباناً بالليل، وفرساناً بالنهار، نسّاكاً متعبدين ومن أجل ذلك كان يقول السلف:

أن هذا العلم ذكر لا يحبه إلا ذكور الرجال[١].

نعم، إنه علم عظيم لا يحبه إلا عظماء الرجال.

يقول أبو الأحوص[٢]:

"كان الشباب يتعبد عشرين سنة ثم يطلب الشيء من الحديث. وقال الثوري: كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة. وقال ابن جريج[٣] لوكيع: باكرت العلم، وكان لوكيع ثماني عشرة سنة "[٤].

ولكن هذه قاعدة غير عامة ولا مطردة، وإنما مستحبة فقد كان أهل البصرة يكتبون لعشر سنين، وأهل الكوفة لعشرين، وأهل الشام لثلاثين[٥].

ومذهب الجمهور هو جواز السماع لمن هم دون ذلك فقد صح أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سمعوا رسول الله ﷺ وهم دون ثلاثة عشرة[٦].

"لو كان السماع لا يصح إلا بعد العشرين لسقطت رواية كثير من أهل العلم، سوى من هو

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم ٢/ ٣٥، القاضي عياض: المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) سلام بن سليم الحنفي الكوفي الحافظ الثقة (ت ١٧٩هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٠ (٢٣٦) ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٢٩٢.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أصله نصراني، من طبقات التابعين، وهو أول من صنف في الحجاز، ثقة لكنه كان يدلس (ت ١٥٠هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٩-١٧١، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٢-٤٠٦ (٨٥٥).

(٤) الكفاية ص ١٠٤، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٠ - ٦١.

(٥) ينظر المصدران نفسيهما: ص ٦٠ - ٦١.

(٦) ينظر المصدران نفسيهما: ص ١٠٣ - ١٠٥، ص ٦١.

في عداد الصحابة، ممن حفظ عن النبي ﷺ في الصغر فقد روى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ ومولده سنة اثنين من الهجرة، وكذلك عبد الله بن الزبير، والنعمان بن البشير[١]، وأبو الطفيل الكناني[٢]، والسائب بن يزيد[٣]، والمسور بن مخرمة "[٤].

ب- سن الأداء:

اختلف أهل العلم في السن المستحب لوقت الأداء فمنهم من استحب سن الأربعين، ومنهم من استحب الخمسين والحكمة في ذلك كما يقول القاضي عياض[٥]: "أما لأجل كمال عقله، واجتماع أشده وانتهاء كهولته ورقة سمته، أو لتوقي أشياخه ومزاحمته من أخذ عنه"[٦].

قال القاضي أبو محمد خلاد[٧]:

"والذي يصح عندي من طريق الأثر والنظر في الحد الذي إذا بلغه الناقل حسن به أن

---

(١) النعمان بن بشير بن سعيد الأنصاري، من صغار الصحابة والي حمص، وكان موالياً لابن الزبير قتله أهل حمص سنة (٦٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٣/ ٥٥٠ -٥٥٥، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٥٥٩ (٨٧٢٨).

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله أبو طفيل الكناني، صحابي صغير، كان شاعراً (ت ١٠٠هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ٤/ ١١٥ - ١١٨، ٥/ ٨٢ -٨٤ (١٣٥).

(٣) السائب بن يزيد بن سعيد الأزدي وقيل غير ذلك صحابي صغير اختلف في وفاته كما اختلف في ولادته على أقوال، ورجح ابن حجر وفاته (٩١هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ١٠٥ -١٠٧، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨٣ (٤٥).

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ١٠٥، وينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص ٦١، وممن سمع في الصغر: أنس بن مالك، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، محمود بن الربيع. ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٦، وقال ابن الصلاح: أن العبرة في ذلك هو حال الصغير على الخصوص. ينظر: المقدمة ص ٦٢.

(٥) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، أحد الأئمة الأعلام في الحديث والعربية وصاحب التآليف المشهورة (ت ٥٤٤هـ) ينظر: النباهي: عبد الله بن الحسن، ولد (٧١٣هـ) تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري - بيروت ص ١٠١ (١٢٩٦)، ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة مصر ١٣٥١هـ ص ١٦٨.

(٦) الإلماع ص ١٩٩.

(٧) خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي، صدوق رمي بالأرجاء، وهو من كبار شيوخ البخاري ت بين (٢١٢- ٢١٧هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٣/ ١٨٩، التاريخ الصغير ٢/ ٣٢٨، الذهبي: العبر ١/ ٢٨٤ -٢٨٥، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٣٠ (١٧٨).

يحدث: استيفاء الخمسين لأنها انتهاء الكهولة وفيها مجتمع الأشد.

قال الشاعر[١]:

وَمَاذَا تَبْتَغِي الشُّعَرَاءُ مِنِّي؟ وقَــدْ جَاوَزت حَدَّ الأَرْبَعِينِ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي وَنَجَّذَنِي[٢] مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ[٣]

وهناك من ذهب أن يحدّث عند استيفاء الأربعين، لأنها حد الاستواء، ومنتهى الكمال، وفيها بعث النبي ﷺ[٤].

لكن هناك عدد لا بأس بهم من السلف والخلف من لم يبلغ هذا العمر ولم يستوف هذا السن وقد نشر الحديث والعلم ما لا يحصى ومن هؤلاء، عمر بن عبد العزيز ولم يكمل الأربعين، وسعيد بن جبير ولم يبلغ الخمسين، وكذلك إبراهيم النخعي، أما مالك فقد جلس للفتوى وهو ابن نيف وعشرين[٥]، وفي كل الأحوال فلا يكون الأداء صحيحاً إلا بعد البلوغ، ويجب أيضاً أن يكون الراوي وقت الأداء عاقلاً مميزاً[٦].

٢ـ سن الإمساك عن التحدث والعلم:

استحب العلماء أن يمسك إذا بلغ الثمانين، لأنه سن الهرم، واستحبوا له التسبيح والذكر، وقراءة القرآن، وقد قال الشاعر:

إنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَــــدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمَانْ[٧].

---

(١) الشعر: لسحيم بن وثيل الرياحي، ينظر: الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٢هـ/) الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٥، لبنان - بيروت ص١٩. ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م) شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة عشر، دار الفكر ١/ ٦٨، (باختلاف يسير في بعض الألفاظ)

(٢) يروى "نجدني" بالدال والذال. والأشد واحد لا جمع له؛ بمنزلة الآنك وهو الرصاص. وقد قيل: واحده شد؛ كفلس وأفلس. وأصله من شد النهار أي ارتفع. ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٣٥.

(٣) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ٢٠١.

(٤) ينظر المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٦) ينظر الخطيب: الكفاية ص ١٣٤.

(٧) الشعر: لسحيم بن وثيل الرياحي ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ٦٨.

قال القاضي عياض: أما من كان ثابت العقل مجتمع الرأي محتسباً في الحديث فأرجو له خيراً.

والحد في ترك الشيخ التحديث التغير وخوف الخرف.

لكن ثبت أن مالك بن أنس وعدد من أصحاب رسول الله ﷺ قد حمل عنهم وحدثوا وقد نيفوا على الثمانين، بل قد قارب وتجاوز بعضهم المائة، كعبد الله بن أبي أوفى[١]، وواثلة بن الأسقع[٢]، وسهل بن سعد الساعدي، وأبي الطفيل الكناني، كذلك من بعدهم من التابعين، وأئمة المسلمين قد بلغ كثير منهم الثمانين، والمائة وهم يحدثون[٣].

٣ـ الجهالة وأحكامها:

أ ـ المجهول وما ترتفع به الجهالة:

المجهول عند أصحاب الحديث هو: كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ولا عرفه العلماء به.

وكذلك من لم يعرف حديثه إلا من جهة راوٍ واحد مثل: عمرو بن ذي مرّ[٤] وجبار الطائي[٥]، وعبد الله بن أغر الهمذاني[٦]، والهيثم بن حنش[٧]، ومالك بن أغر[٨]، وسعيد بن ذي

---

(١) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك من المشاهد ت ٨٧هـ بالكوفة، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٦٤- ٢٦٥. ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧٩- ٢٨٠ (٤٥٥٥).

(٢) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر أسلم قبل تبوك (ت ٨٣ -٨٥هـ) ينظر: المصدران نفسيها ٢/ ٦٤٣- ٦٤٤، ٣/ ٦٢٦ (٩٠٨٧).

(٣) ينظر: الإلماع ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) قال البخاري، لا يعرف، وهو صاحب حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه: اللهم والي من والاه وعاد من عاداه). ينظر: ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٥/ ١٤٢ (١٣٠٤)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٤ - ٢٩٥ (٦٤٨١).

(٥) قيل جبار بن قاسم الطائي، مجهول، ضعفه الأزدي، ينظر: ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ ١/ ١٦٥ (٦٣٤)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٨٧ (١٤٣٤).

(٦) ينظر عنه: المعجم الكبير ٩/ ١٢٨ (٨٦٣٨)، الكفاية ص ١٤٩، تاريخ دمشق ٤٦/ ٥.

(٧) النخعي الكوفي، ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩/ ٧٩ (٣٢٠٠).

(٨) لم أقف على ترجمته.

حدان[١]، وقيس بن كركم[٢]، وخمر بن مالك[٣]، هؤلاء كلهم لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيعي[٤].

ولكن ما العمل لرفع الجهالة عن الراوي ؟

يجيب الخطيب عن هذا السؤال فيقول[٥]:

" وأقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم ".

وهذا يرفع عنه الجهالة، أما العدالة فهل تثبت له بذلك ؟.

والذي يظهر من قول الخطيب أنه: لا تثبت له ذلك[٦].

ب- من عرفت عينه وعدالته، وجهل اسمه ونسبه:

الذي عرفت عينه وعرف أنه عدل ثقة يجب قبول روايته لأن جهل اسمه ونسبه لا يخل بعدالته[٧].

---

(١) ينظر ترجمته: ابن حبان: الثقات ٤/ ٢٨٢ (٢٩١٣)، المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١٠/ ٤٢٤ (٢٢٦٦).

(٢) الكوفي ينظر ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ١٤٩ (٦٦٥)، مسلم: المنفردات والوحدان: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١/ ١٣٤ (٣٥٣).

(٣) وقيل خمير الكوفي، ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣ / ٣٩١ (١٧٩٣)، ابن ماكولا: الإكمال ٢/ ٥٢١. وروى عن هؤلاء كلهم أبو إسحاق السبيعي فقط، وهو مدلس، وكبر سنه وبلغ المائه وقيل أكثر، قال الجوزقاني: روى عن قوم لا يعرفون، ولم ينشر عنهم عند أهل العلم... فإذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقيف في ذلك عندي الصواب. ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٦٦ - ٦٧، وينظر كذلك: ابن رجب: شرح العلل ٢/ ٧٠٩.

(٤) ينظر الخطيب: الكفابة ص ١٤٩، وينظر أيضاً: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٦٠ -١٦١.

وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله بن عبيد الكوفي، ولد آخر خلافة عثمان، أحد الاعلام الزهاد والعباد، (ت١٢٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١١٤ - ١١٦ (٩٩)، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٢ -٧١٢، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ٦٣ -٦٧ (١٠٠).

(٥) الخطيب: المصدر السابق ص ١٥٠، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص١٥٠.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٥٣٣.

والدليل على ذلك حديث ثمامة بن حزن القشيري[١] قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن النبيذ[٢] فقالت: هذه خادم رسول الله ﷺ- لجارية حبشية - فاسألها فقالت[٣]:

(كُنْتُ أَنْبِذُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سِقَاءٍ عِشَاءً فَأُوكِئُهُ[٤] فإذا أصبح شَرِبَ مِنْهُ).

٤ـ جهود أئمة الحديث في تمييز المدلسين:

ذكرنا فيما سبق شيئاً عن التدليس وأنواعه ولا بد أن نذكر شيئاً عن أحكام التدليس، لأنه مما يحتاجه المحدث والمؤرخ في آن واحد، كما نتطلع إلى جهود أئمة الحديث في تمييز وتتبع المدلسين ومعرفة أسماءهم وكناهم، وألقابهم، وأوطانهم، وما بذلوه من جهود جبارة لتمييز هؤلاء المدلسين من الزنادقة وغيرهم.

أ- ورد تحذير شديد من أهل العلم من التدليس، بل جعله بعضهم أخو الكذب، كما ذهب بعضهم بأنه أشد من الزنا.

قال شعبة بن الحجاج[٥]:

"التدليس أخو الكذب".

وقال في رواية أخرى[٦]:

"التدليس في الحديث أشد من الزنا، ولإن أسقط من السماء أحب إليّ من أن أدلس".

---

(١) ثمامة بن حزن بن عبد الله القشيري البصري، أدرك النبي ولم يره، وثقه ابن حبان وغيره لم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٠٦ (٩٧٩)، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧ (٤٥).

(٢) ينظر: ص ٥١٨ وما بعدها.

(٣) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٤/ ١٢٢ (٣٢٨٧) مسند أحمد ٦/ ١٣٧ (٢٥١٠٢)، (شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٧٥ -١٧٦).

(٤) فأوكيه بدل فَأُوكِئُهُ عند الحميدي ينظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٤/ ١٢٣، ومعنى أوكئه: أشد رأس السقاء بالوكاء وهو الخيط لئلا يسقط فيه شيء.

(٥) الكفاية في علم الرواية ص٥٠٨.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٠٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٥، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٤، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٥١.

obeikandl.com

وقال حماد بن زيد[١]:

التدليس كذب[٢].

وقال الحكم[٣] عن سليمان[٤]:

التدليس والغش والغرور والخداع والكذب يحشر - يوم تبلى السرائر في نفاد واحد[٥].

ب- الفرق بين الإرسال والتدليس:

١- التدليس يتضمن الإرسال، لكن الإرسال لا يتضمن التدليس، والتدليس يقتضي إيهام السامع ممن لم يسمع منه، بعكس الإرسال، ولهذا لم يذم العلماء من أرسل، لكنهم ذموا من دلس[٦].

٢- عدول المدلس عن الكشف إلى الاحتمال وذلك خلاف موجب الورع والأمانة[٧].

٣- إن المدلس إنما لم يبين من بينه وبين من روى عنه، لعلمه بأنه لو ذكره لم يكن مرضياً مقبولاً عند أهل النقل، فلذلك عدل عن ذكره[٨].

٤- السبب الآخر من أسباب التدليس هو: التوهيم، طلباً لعلو الإسناد وهو خلاف الأمانة والعدالة[٩].

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، البصري ثقة ثبت فقيه، إمام أهل زمانه (ت ١٧٩هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٢٨- ٢٢٩ (٢١٣)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ١٩٧ (٥٤١).

(٢) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٥٠٩، ونسبه ابن كثير إلى الشافعي، ينظر: شاكر: المصدر السابق ص ٥١.

(٣) ينظر ترجمته ص ٣٨٣.

(٤) سليمان بن داود المنقري الشاذكوني، حافظ مكثر، اتهم ببعض التهم الكبيرة منها الكذب وغيرها (ت ٢٣٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٠ - ٤٨ (٤٦٢٧)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٨٨ -٤٨٩ (٥٠٣).

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ١٠٣، الهروي: جواهر الأصول ص ٥٠.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١٠، وينظر تفصيل الفرق بين المرسل والمدلس أيضاً: القاري: شرح نخبة الفكر ص ١١٨- ١١٩.

(٧) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١١، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٣٥.

(٨) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١١.

(٩) ينظر: المصدر نفسه ص ٥١١.

ج- ما يقبل من التدليس في الأخبار وما يرد:

- قال بعض أهل العلم[١]:

"إذا دلس المحدث عمن لم يسمع منه، ولم يلقه، وكان ذلك الغالب على حديثه، لم تقبل رواياته".

وقال آخرون:

خبر المدلس لا يقبل إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام، فإن أورده على ذلك قبل، قال الخطيب[٢]:

"وهذا هو الصحيح عندنا".

- إذا كان تدليسه عمن لقيه وسمع منه، فيدلس عنه رواية ما لم يسمعه منه، فذلك مقبول بشرط أن يكون الذي يدلس عنه ثقة، ويسمى هذا النوع تدليس الإسناد[٣].

وضرب العلماء مثلا للفرق بين التدليسين فقالوا: نحن نقبل تدليس سفيان بن عيينه ونظرائه، لأنه يحيل على ملئ ثقة. ولا نقبل من الأعمش تدليسه، لأنه يحيل على غير ملئ، والأعمش إذا سألته عمن هذا قال: موسى بن طريف[٤]، وعباية بن ربعي[٥]، وابن عيينه إذا وقفته قال: عن ابن جريج، ومعمر ونظرائهما[٦].

---

(١) المصدر نفسه ص ٥١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٥١٥، وقد ضرب الخطيب مثالاً بأن يقول المدلس، سمعت فلاناً يقول ويحدث ويخبر أو قال لي فلان، أو ذكر لي، أو حدثني وأخبرني من لفظه، أو حدث وأنا أسمع، أو قرأ عليه وأنا حاضر، وما يجري مجرى هذه الألفاظ مما لا يحتمل غير السماع وما كان بسبيله: ينظر: المصدر نفسه ص ٥١٧.

(٣) ينظر: ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٤.

(٤) موسى بن طريف الأسدي الكوفي، حدث عنه الأعمش من غلاة الشيعة، قال الأعمش:
ألا تعجبون من موسى بن طريف يحدث عن عباية عن علي ﷺ أنه قال: انا قسيم النار، هذا لي وهذا لك.
وقيل للأعمش: لو رويت ذلك ! قال: رويته على الاستهزاء.
ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠٨ (٨٨٨٤). ابن حجر: لسان الميزان ٦ / ١٢١.

(٥) عباية بن ربعي من غلاة الشيعة ورواياته أقبح من روايات موسى بن طريف ينظر المصدران نفسيهما: ٢/ ٣٨٧-٣٨٨ (٤١٨٨)، ٣/ ٢٤٧.

(٦) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٥١٦، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٥١٠.

- إذا دلّس ولو في حديث واحد سقط، شأنه شأن من كذب في حديث واحد، فإن وافقه ثقة على روايته وجب العمل به، لأجل رواية الثقة له خاصة دون غيره[١].

د- تتبُّع الأئمة الدقيق، لمعرفة المدلسين من الزنادقة وغيرهم:

من ذلك ما كشفه أبو الحسن المدائني، من هؤلاء، قال[٢]:

"أبو اليقظان هو: سحيم بن حفص[٣]، وسحيم لقب، واسمه عامر بن حفص، وكان لحفص ابن يقال له: محمد، وكان أكبر أولاده، فكنيته أنابه، ولم يكن يكنى به، وكان حفص أسود شديد السواد، يعرف بالأسود: قال لي أبو اليقظان: سمتني أمي خمسة عشر يوما عبد الله.

فإذا قلت: حدثنا أبو اليقظان فهو: أبو اليقظان، وإذا قلت سحيم بن حفص، وعامر بن حفص، وعامر بن أبي محمد، وعامر بن الأسود، وسحيم بن الأسود، وعبد الله بن فائد، وأبو إسحاق المالكي، فهو أبو اليقظان ".

استغل الزنادقة لإدخال الروايات الفاسدة في حديث رسول الله ﷺ، وكذلك في تاريخ المسلمين، هذا المسلك الخطير.

ذكر الخطيب قال: قلب أهل الشام اسم محمد بن سعيد الزنديق[٤] على مائة اسم وكذا وكذا اسماً - قد جمعتها في كتاب - وهو الذي أفسد كثيراً من حديث أهل الشام، قال الخطيب[٥]:

"أبو العباس بن سعيد، محمد بن سعيد الأسدي، أبو عبد الله الشامي، ويقال أبو عبد الرحمن، المصلوب في الزندقة، وقال عبد الرحيم - يعني ابن سليمان - محمد بن غانم، قال أبو معاوية: أبو قيس: محمد بن عبد الرحمن، وربما قال: عبد الرحيم، ابن أبي قيس، ويقال: الربضي،

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١٨.

(٢) ابن النديم: المصدر السابق ص ١٣٨، وقد نقل عنه الخطيب هذا المقطع نصاً إلا شيئاً بسيطاً. ينظر: الكفاية ص ٥٢١ذ.

(٣) عامر بن حفص، له معرفة بالأنساب (ت ١٩٠هـ) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ١٣٨. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ٢٢٦.

(٤) محمد بن سعيد الشامي، كذاب متروك الحديث صلبه أبو جعفر على زندقته، ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٩٤، التاريخ الصغير ص ١٠٠، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢١٣، ابن حبان: المجروحين من المحدثين ٢/ ٢٤٧.

(٥) الكفاية ص ٥٢٢ - ٥٢٣. ينظر نماذج أخرى من هذا النوع: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٦١-١٦٢.

ويقال: الطبري، ويقال: محمد بن حسان، ويقال: محمد بن عبد الرحمن، روى عنه الثوري والحسن بن صالح، وقال المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان عن محمد بن سعيد بن حسان بن قيس وهو هذا".

ثم يعقب الخطيب عن فعل هؤلاء المقلبين والمدلسين للأسماء والكنى والألقاب بأن حديثهم: ساقط ولا يجوز الاحتجاج به[١].

هـ- حكم المرسل من الأحاديث:

ذهب جمع من أئمة المسلمين إلى وجوب العمل بالمرسل[٢]، إن كان المرسل ثقة عدلاً، وهو مذهب مالك وأهل المدينة وأبي حنيفة وأهل العراق وغيرهم، وحكي عن الإمام أحمد في رواية[٣].

وذهب الشافعي وجمهور الأئمة من حفاظ الحديث والأثر إلى عدم وجوب العمل به والحكم بضعفه[٤].

واختلفوا كذلك في مراسيل الصحابة ﷺ فذهب بعضهم إلى قبول مراسيل الصحابة مطلقا[٥] لكون جميعهم عدولاً، مرضيين وإن الظاهر فيما أرسله الصحابي - كما يقول الخطيب - ولم يبين السماع فيه أنه سمعه من رسول الله ﷺ أو من صحابي سمعه عن النبي ﷺ، وأما من روى منهم عن غير الصحابة فقد بين في روايته ممن سمعه، وهو أيضاً قليل نادر، فلا اعتبار به وهذا هو الأشبه بالصواب عندنا[٦].

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٢٧، ينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٥.

(٢) ينظر تفصيل ذلك ص ٤٢٣.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٤٧، شاكر: الباعث الحثيث ص ٤٦، ونقل ابن رجب وابن كثير وعلي القاري أن مذهب الجمهور قبلوا إرسال مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري حيث (كما يقول القاري) إنما يطلقه إذا سمعه من سبعين من الصحابة. ينظر: شرح علل الترمذي ١/ ٥٣٢، الباعث الحثيث ٤٦، شرح نخبة الفكر ص١١١.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٥٤٧، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٦، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٣٠، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٥٢٩ -٥٣٢.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٦.

(٦) الكفاية ص ٥٤٧ - ٥٤٨، وينظر أيضاً: أحمد شاكر: المصدر السابق ص٤٦، السيوطي: تدريب

أما الذين ذهبوا إلى عدم قبول مراسيل الصحابة ﷺ فليس للشك في عدالتهم أو صدقهم ولكن لأنه قد يروي الراوي عنهم عن تابعي وعن أعرابي لا تعرف صحبته ولا عدالته.

لكن لو قال: لست أروي لكم إلا عن سماعي من الرسول أو من صحابي يجب علينا قبول مرسله[1].

==

الراوي ص ٤٧، وقال الشيخ أحمد شاكر تأييداً لمذهب الخطيب: وهذا هو الحق. ينظر: الباعث الحثيث ص ٤٧.

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٤٧، وينظر أيضاً ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٥٣٢- ٥٥٧.

obeikandl.com

المبحث الثالث

أحوال الرواية

اهتم أئمة الحديث بشكل دقيق بالجانب الداخلي (النقد الداخلي) كما اهتموا بالجانب الخارجي (النقد الخارجي).

اهتموا بالنقد الداخلي فيما يتعلق بالتصحيف والتحريف أو إبدال كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو الرواية بالمعنى أو باللفظ، أو تغيير الحركات، أو تقطيع المتن، أو تغيير اللحن وغير ذلك، حتى وصلت الدقة بهم كما يقول ابن حبان[١]:

"لو سئل أحدهم عن عدد الأحرف في السنن لكل سُنَّةٍ منها عدّها عدّاً، ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعاً ولأظهرها ديانة".

"وهذه مأثرة من مآثر علماء الحديث فإنهم قالوا بالأمانة في نقل الحديث وفرضوا وجوباً تحري النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلي. ومنهم من أبى أن يصلح الخطأ أو يقوم اللحن، واكتفى بابداء رأيه على الهامش... هذا ما توصل إليه علماء الحديث في القرون الأولى وهو المعول عليه الآن لدى المؤرخين المعاصرين"[٢].

التحمل:

التحمل لغة هو: حمل الشيء إذا رفعه[٣].

وفي الاصطلاح هو: المرحلة الأولى في الرواية يعقبها الأداء وهو التكفل بإبلاغ ما تحمله الراوي من أخبار[٤].

---

(١) ابن حبان: المجروحين من المحدثين ١/ ٦٠، وينظر كذلك: المرتضى الزين: مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة ص ٧.

(٢) مصطلح التاريخ ص ٣٣ - ٣٤.

(٣) ينظر ابن منظور: لسان العرب ١/ ٧٢٤ (حمل).

(٤) ينظر: ضوابط الرواية ص ١٣٧.

معنى شرط الأداء وشرط التحمل:

يشترط في الراوي أن يكون مسلماً وشرط الإسلام إنما هو شرط أداء لا شرط تحمل.

فإذا سمع الراوي وهو كافر وأدى الرواية وهو مسلم فتقبل روايته[١].

وأهم أقسام طرق نقل الحديث وتحمله:

١ـ السماع:

وهو السماع من لفظ الشيخ سواء كان إملاء أو تحديثاً وسواء كان من حفظه أو من كتابه، وهذا أعلى أقسام وأرفعها عند الجمهور وهو كثير الاستعمال[٢].

وهو على درجات:

- أرفع العبارات وأعلاها: سمعت، ثم حدثنا، وحدثني[٣] فإنه لا يكاد أحد يقول: سمعت في أحاديث الإجازة والمكاتبة ولا في تدليس ما لم يسمعه[٤].
- ثم أنبأنا، ونبأنا، وهو قليل الاستعمال لا سيما بعد غلبته في الإجازة[٥].
- وأوضع العبارات: قال، أو ذكر، من غير قوله (لي، ولنا) وهو أيضاً محمول على السماع إذا عرف اللقاء[٦].

---

(١) ينظر الأسنوي: نهاية السول ٣/ ٧٣٨، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٣.

(٢) ينظر: الكفاية ص ٤١٧، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٢، الهروي: جواهر الأصول ص ٦٨، آل جعفر: مساعد مسلم: الموجز في علوم الحديث، طبعة دار الرسالة - بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٧.

(٣) وقد ألحق جمع من أئمة الحديث (أخبرنا) بهذه المرتبة، منهم: حماد بن سلمة، ابن المبارك، هشيم بن بشير، يزيد بن هارون، عبد الرزاق بن همام، ويحيى بن يحيى التميمي، ابن راهويه وآخرون، ينظر: ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٤ -١٠٥.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٣ -١١٤، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٤، ذهب ابن كثير إلى أن أعلى العبارات هي: (حدثني)، وذلك إذا قال: حدثنا، اخبرنا، قد لا يكون، قصده الشيخ بذلك أيضاً لاحتمال أن يكون في جمع كثير. ينظر شاكر: المصدر نفسه ص ١٠٥.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٥ - ٤١٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، الهروي: المصدر السابق ص ٦٨.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٤، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩، قال الخطيب: وأما قول المحدث: قال فلان فإن كان المعروف من حاله أنه لا يروي إلا ما سمعه جعل ذلك بمنزلة ما يقول فيه غيره ثنا وإن كان قد يروي سماعاً وغير سماع، لم يحتج من رواياته إلا بما يبين الخبر فيه، الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٨.

٢ـ القراءة على الشيخ:

ويسميها قدماء المحدثين عرضاً[١]، لأن القاريء يعرضه على الشيخ سواء قرأ هو أو غيره، وهو يسمع وسواء قرأ من كتابه أو حفظه وسواء كان الشيخ يحفظ أو لا، والرواية بها سائغة عند العلماء، إلا ما حكي عن بعض من لا يعتد به[٢].

وأفضل العبارات في ذلك وأحوطها:

قرأت على فلان، وإذا كان سامعاً لما قرأ على الشيخ فالأحوط أن يقول: قرأ عليه وأنا أسمع، ثم حدثنا، وأخبرنا قراءة عليه، وفي الشعر أنشدنا قراءة عليه[٣].

أما استخدام حدثنا واخبرنا على الإطلاق فقد اختلفوا فيه:

- مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى التميمي[٤]، وأحمد بن حنبل والنسائي وغيرهم إلى أن المنع منهما جمعياً[٥].

- وذهب جمع آخر إلى جواز ذلك ومنهم: معظم الحجازيين والكوفيين وقول الزهري ومالك وسفيان بن عيينة ويحيى القطان والبخاري وآخرين[٦].

- المذهب الثالث: المنع من إطلاق حدثنا وجواز إطلاق أخبرنا وهو مذهب الإمام الشافعي وأصحابه والإمام مسلم وجمهور أهل المشرق وجمع كثير من المحدثين وغيره[٧].

واختلف العلماء أيهما أقوى السماع أو القراءة على أقوال:

---

(١) ال جعفر: الموجز في علوم الحديث ص ٢٨- ٢٩.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٤ - ٦٥، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩، وحكى في التدريب، القول بصحتها عن كثير من الصحابة والتابعين، ومن الأئمة، ينظر السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٢، وقال الحافظ ابن حجر:و قد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزيء، و إنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق ينظر:فتح الباري ١/ ١٥٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٦.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤٢٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩

(٤) الإمام الحافظ شيخ خراسان المنقري إمام عصره بلا مدافعة (ت ٢٢٦هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢٥ / ٤١٥ - ٤١٦ (٤٢١)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١ / ٢٩٦ -٢٩٩ (٥٧٨).

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩ -٧٠.

(٦) ينظر المصدران نفسيهما: ص ٦٥، ص ٦٩ -٧٠.

(٧) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٤٢٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٥ -٦٦، الهروي: جواهر الأصول ص ٦٩ -٧٠.

- أن القراءة على الشيخ دون السماع من لفظ الشيخ وهو أصح المذاهب في ذلك وإليه ذهب علماء المشرق وهو الصحيح عند جمهور المحدثين[١].

- قيل أنها أقوى من السماع وهو مذهب أبي حنيفة وابن أبي ذئب[٢] ومالك[٣].

- قيل هم سواء وهو مذهب أهل الحجاز، والكوفة، ونسب إلى مالك، وأشياخه أيضاً، والى اختيار البخاري[٤].

٣ـ الإجازة:

وهي سؤال طالب العلمِ، العالمَ أن يجيزه علمه فيجيزه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز[٥].

والرواية بها جائزة عند جمهور المحدثين والفقهاء وكذلك العمل بها وذهب بعضهم المنع من الرواية بها[٦].

وأصل صحة الإجازة حديث كتابة رسول الله ﷺ لعبد الله بن جحش[٧] كتاباً وختمه ودفعه إليه ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة[٨] وقال له[٩]: (لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم نظر فيه).

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة الإمام العابد الثبت الورع (ت ١٥٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩١ - ١٩٣ (١٨٥)، تقريب التهذيب ٢ / ١٨٤ (٤٦٢).

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٦٥، الهروي: المصدر السابق ص٧٠

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤٤٧

(٦) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٤٦، ٤٤٩- ٤٥٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١١٤، وممن ذهب إلى منع الرواية بها: الماوردي، وعزاه إلى مذهب الشافعي، وكذلك القاضي حسين بن محمد المروروذي، وشعبة، وإبراهيم الحربي، وأبو الشيخ محمد بن عبد الله الأصبهاني، وأبو نصر الوايلي السجّزي وغيرهم من أئمة الحديث، ينظر: المصدر نفسه ص ١١٤

(٧) عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي أحد السابقين الأولين وهو أول أسير أسر في الإسلام قتل في غزوة أحد ودفن هو وحمزة في قبر واحد. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٧٢ -٢٧٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٨٦ -٢٨٧ (٤٥٨٣).

(٨) موضع بالحجاز قرب مكة. ينظر: معجم البلدان ٥/ ٢٧٧ (نخلة)

(٩) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٢٥٢، وينظر كذلك ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٨٧.

وأهم أقسامها:

أ - إجازة معين لمعين في معين: بأن يقول: أجزتك أن تروي عني هذا الكتاب أو هذه الكتب وهي أعلى أنواعها على الصحيح والصحيح جواز العمل بها عند الجمهور وأجازها الظاهرية، لكن بدون العمل بها لأنها في معنى المرسل عندهم إذا لم يتصل السماع[١].

ب - إجازة لمعين في غير معين مثل أن يقول: أجزتك مسموعاتي أو مروياتي أو ما صح عندك من مسموعاتي ومصنفاتي وهذا أيضاً جوزه جمهور العلماء رواية وعملاً[٢].

ج- الإجازة لغير معين مثل أن يقول: أجزت للمسلمين أو أجزت لكل أحد أو أجزت لمن أدرك زماني أو لمن قال لا إله إلا الله وتسمى الإجازة العامة.

وجوزه الخطيب البغدادي، وأبو العلاء الهمذاني[٣] الحافظ وغيرهم من محدثي المغاربة[٤].

د - الإجازة لمجهول: وهو ثلاثة أقسام:

- إجازة مجهول لمعروف مثل: أجزتك كتاباً من السنن أو مسنداً من المسانيد.

- إجازة معروف لمجهول مثل: أجزت محمد الشامي صحيح البخاري وهناك جماعة مشتركون في هذا الاسم.

- إجازة مجهول لمجهول مثل: أجزت أحمد العراقي كتاباً في الحديث فهذه الأنواع كلها باطلة[٥].

أما لو قال: أجزت لجماعة المسلمين المنتسبين في الاستجازة ولم يعرفهم بأعيانهم صحت الإجازة كسماعهم[٦].

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٤٤٦، ابن الصلاح: المقدمة ص٧٣، شاكر: الباعث الحثيث ص ١١٤.

(٢) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٣، شاكر: المصدر السابق ص١١٤.

(٣) الحسن بن أحمد بن الحسن، شيخ الإسلام العلامة، المتقن، الحافظ (ت ٥٦٩هـ) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٢٤ -١٣٢٧ (١٠٩٣)، ابن عماد: شذرات الذهب ٤ / ٢٣١.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٣، شاكر: المصدر السابق ص ١١٤-١١٥.

(٥) ابن الصلاح: المقدمة ص ٧٤، الهروي: جواهر الأصول ص٧١

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٤، الهروي: المصدر السابق ص ٧١، وهناك أقسام أخرى لم أشأ ذكرها لعدم ارتياحي لها، حيث يدخل من خلال تلك الأقسام بعض أهل الأهواء والبدع، وقد أيد ذلك العلامة أحمد شاكر ينظر: الباعث الحثيث ص ١١٧.

٤ـ المناولة: وهي نوعان:

أ - مقرونة بالإجازة وهي على أنواع الإجازة ولها صور:

مثل أن يناول الشيخ الطالب كتاباً من سماعه ويقول له: ارو هذا عني، أو أجزت لك روايته عني، ثم يبقيه معه تمليكاً أو عارية لينسخه أو نحو ذلك.

ومنها أن يدفع إليه الطالب سماعه فيتأمله ثم يعيده إليه ويقول: هو حديثي أو روايتي فاروه عني، ويسمى هذا النوع بعض الأئمة عرضاً[١]، وقد ذهب جمهور كبير من أهل العلم أنها بمنزلة السماع في القوة، لكن جمهور الفقهاء الذين أفتوا في الحرام والحلال: لم يروه سماعاً[٢].

منها: أن يناول الشيخ الطالب سماعه ويجيزه له ثم يمسكه الشيخ وهو أقل مرتبة مما سبق[٣].

ومنها: أن يأتيه الطالب بكتاب ويقول: هذا روايتك فناولنيه وأجز لي روايته فيجيبه من غير نظر فيه وتحقيق فهذا باطل[٤].

ب - المناولة المجردة عن الإجازة:

وصورتها أن يناوله الكتاب ويقتصر على قوله هذا من حديثي أو من سماعاتي، ولا يقول اروه عني أو أجزت لك روايته عني، فالصحيح أنه لا يجوز الرواية بها، وقد عاب بعض من الفقهاء والأصوليين على المحدثين الذين أجازوها وسوغوا الرواية بها لكن رجح الإمام ابن الصلاح بأنها لا تخلو من إشعار بالإذن في الرواية[٥].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٩، الهروي: المصدر السابق ص ٧٣-٧٤ وهذا النوع يسمى: عرض المناولة، و الذي قبله: عرض القراءة، ينظر: المصدر نفسه ص ٧٤.

(٢) ينظر تفصيل من رأى ذلك ومن لم ير ذلك: الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٢٥٦ - ٢٥٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٧٩ - ٨٠، (ونقله عن الحاكم) أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١١٨.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٠، الهروي: المصدر السابق ٧٤.

(٤) ينظر المصدران نفسيهما: ص ٨١-٨٢، ص٧٤.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر المصدر السابق ص ١١٩، وقد جوز بعض العلماء (حدثنا، وأخبرنا) في المناولة، وهو مقتضى قول من جعل عرض المناولة سماعاً، كما جوز الأوزاعي، تخصيص المناولة بـ (خبرنا) والقراءة بـ (أخبرنا)، وقوم آخرون: (أنبأنا) في الإجازة ينظر: المصدران نفسيهما: ص ٨١، ص ١١٩.

٥ـ المكاتبة:

وهي أن يكتب مسموعة لغائب أو حاضر بخطه أو يأذن بكتبه[١] وينقسم إلى قسمين:

أ - أن تقترن بالإجازة بأن يكتب إليه ويقول: أجزت لك ما كتبته لك أو ما كتبت به إليك فهذا القسم كالمناولة المقرونة بالإجازة[٢].

ب- إن لم تقترن بالإجازة فقد أجاز الرواية بها كثير من المتقدمين والمتأخرين وغير واحد من فقهاء وأصوليي الشافعية وجعلوا ذلك أقوى من الإجازة المجردة[٣].

وجوز منصور[٤]، والليث بن سعد في المكاتبة أن يقول: أخبرنا وحدثنا لكن المختار تقييده بالمكاتبة[٥].

٦ـ الإعلام:

وهو إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سماعه من فلان سواء أذن له في روايته عنه، أم لم يأذن له، فلو قال الشيخ للراوي: هذه روايتي ولكن لا تروها عني أو لا أجيزها لك أو اروها عني وأجيزها لك فعند محققي العلماء من المحدثين والفقهاء سوّغ الرواية وهو مذهب بعض المتأخرين، حتى ذهب بعض الظاهرية لو اعلمه بذلك ونهاه عن روايته عنه، فله روايته كما لو نهاه عن رواية ما سمعه منه[٦].

قال ابن الصلاح [٧]: "ووجه مذهب هؤلاء اعتبار ذلك بالقراءة على الشيخ فإنه إذا قرأ عليه

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٣، الهروي: المصدر السابق ص ٧٦. والأصل في ذلك كما قال الحاكم: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، ينظر: معرفة علوم الحديث ص ٢٥٨.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠، وينظر كذلك ال جعفر: الموجز في علوم الحديث ص ٣٢.

(٤) منصور بن سلمة الحافظ الإمام أبو سلمة الخزاعي محدث بغداد ثقة كان يسأل عن علم الرجال (ت ٢١٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٨- ٣٥٩ (٣٤٩)، تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٦ (١٣٨٤).

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، الهروي: المصدر السابق ص ٧٦، شاكر: المصدر السابق ص ١٢١.

(٧) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٥.

obeikandi.com

شيئاً من حديثه، وأقر بأنه روايته عن فلان عن فلان جاز له أن يرويه عنه، وإن لم يسمعه من لفظه ولم يقل له اروه عني أو أذنت لك في روايته عني ".

أما العمل به: فيجب العمل به إذا صح إسناده وإن لم تجز له روايته[١].

٧ـ الوصية:

وهي أن يوصي الراوي عند موته أو سفره لشخص بكتاب يرويه فجوز بعض السلف للموصى له روايته، وشبهوا ذلك بقسم الإعلام وقسم المناولة.

وقد استبعد ابن الصلاح ذلك فقال عن هذا:

أما زلة عالم أو متأول على أنه أراد الرواية على سبيل الوجادة[٢].

٨ـ الوجادة:

الوجادة (بكسر الواو) مصدر وجد يجد، قال ابن الصلاح[٣]:

"مولد غير مسموع من العرب".

وفي الاصطلاح: تطلق فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[٤]، وهي ليست من باب الرواية وإنما هي حكاية عما وجده[٥].

مثال ذلك: أن يقف على الحديث أو كتب بخط راويها ولم يسمعها منه الواجد، ولا له منه إجازة أو نحوها فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه: حدثنا فلان ويذكر شيخه ومن فوقه، وهذا هو المشهور وعليه العمل قديماً وحديثاً وهو من باب المنقطع والمرسل غير أنه أخذ شوباً من الاتصال بقوله: وجدت بخط فلان[٦].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٨٥، الهروي: جواهر الأصول ص ٧٦.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٥، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢١ -١٢٢.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٨٦.

(٥) ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٢٣.

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٦، الهروي: المصدر السابق ص ٧٧.

obeikandl.com

يقول ابن كثير [١]:

"ويقع هذا أكثر في مسند الإمام أحمد، يقول ابنه عبد الله[٢]: وجدت بخط أبي: حدثنا فلان، ويسوق الحديث".

ولا يجوز إطلاق حدثنا أو أخبرنا فيه[٣].

أما العمل بها: فمنع منه طائفة كبيرة من الفقهاء والمحدثين[٤].

قال ابن الصلاح [٥]:

"وحكي عن الشافعي وطائفة من نظار أصحابه جواز العمل به. قلت:

قطع بعض المحققين من أصحابه في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة به... وهذا هو الذي لا يتجه غيره في الإعصار المتأخرة، فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية، لانسد باب العمل بالمنقول".

وأكثر هذه الأقسام - إن لم يكن جميعها - يشترك التاريخ مع علم الحديث فيها، خاصّة الأقسام الأخيرة منها، وبهذا يمكن تطبيق أحكامها عليه، كتطبيقها على الروايات والكتب الحديثية، لكن بشيء من المرونة.

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٢٢.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الإمام الحافظ الحجة محدث العراق (ت ٢٩٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٥- ٦٦٦ (٦٨٥)، تقريب التهذيب ١/ ٤٠١ (١٧٩).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٢٢.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٧، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٣.

(٥) المقدمة ص ٨٧، وهذا ما ذهب إليه ابن كثير وارتضاه البلقيني والسيوطي، ينظر: تدريب الراوي ٢/ ٦٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩ م ١/ ٤١ - ٤٢. ويستدلون على ذلك بحديث النبي (أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال: وكيف لا يؤمنون وهو عند ربهم، قالوا: الأنبياء، قال: وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي، قالوا: نحن، فقال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم! قالوا: فمن يا رسول الله ؟ قال: قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها) أخرجه أحمد والدرامي والحاكم، وقال الشيخ أحمد شاكر: وله طرق كثيرة، ينظر: الباعث الحثيث ص ١٢٥، وينظر الحديث: الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/ ٦٥، العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م) كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة دار التراث ١/ ٣٢٧.

أنواع الأداء:

١ـ الرواية باللفظ:

لقد هاب السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم قديماً من التصرف في حديث رسول الله ﷺ وتبديل اللفظ المسموع منه، وسبب ذلك هو حض النبي ﷺ على ذلك، وأمره بإيراد ما يسمع منه كما سمع فقد ورد عن رسول الله ﷺ[١]:

(نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا إلى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال[٢]:

(اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إليك، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إليك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إليك، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليك، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إليك، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ).

وفي رواية:

(وَبِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ قَالَ: لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ).

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يمكث السنة لا يقول:

قال رسول الله ﷺ فإذا قال: قال رسول الله ﷺ أخذته الرعدة ويقول: وهكذا أو نحوه أو شبهه[٣].

وكان ابن عمر رضي الله عنه: إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه ولم يجاوزه ولم يقصر عنه[٤].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨٤، أبو داود: السنن ٣ / ٣٢١ (٣٦٦٠)، الترمذي: السنن ٥/ ٣٣ (٢٦٥٦)، الدرامي: السنن ١/ ٥٧، ابن حبان: الصحيح ١/ ٢٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٧٢٢ (٧٠٥٠)، (فتح الباري ١/ ٣٥٧ (٢٤٧) (شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٢ - ٣٣).

(٣) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٥٤٩، القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٧.

(٤) ينظر: الكفاية ص ٢٦٥.

وكذلك جميع أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمع أحدهم من رسول الله ﷺ: لا يزيد فيه ولا ينقص[١].

وقيل لزيد بن أرقم[٢]:

"يا أبا عمرو إلا تحدثنا ؟ فقال: قد كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد "[٣].

ذكر ابن الصلاح: أن من لم يكن عارفاً عالماً بالألفاظ ومقاصدها فلا خلاف أنه لا يجوز له الرواية بالمعنى، وعليه أن يروي ما سمعه على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير[٤].

أما إذا كان عالماً عارفاً فهذا محل اختلاف فقد ذهب بعض المحدثين وطائفة من الفقهاء والأصوليين من الشافعيين وغيرهم إلى عدم الجواز[٥].

أما رواية بقية الأخبار والآثار فقد تساهل فيها أئمة الحديث وأجازوها.

يقول الإمام مالك[٦]:

"كل حديث للنبي ﷺ يؤدى على لفظه، وعلى ما روي، وما كان عن غيره فلا بأس إذا أصاب المعنى".

وسأل أشهب[٧] الإمام مالك: عن الأحاديث يقدم منها ويؤخر والمعنى واحد، فقال[٨]: "أما ما كان منها من قول رسول الله ﷺ فإني أكره ذلك، وأكره أن يزاد فيها وينقص منها، وما كان من قول غير رسول الله ﷺ فلا أرى بذلك بأساً إذا كان المعنى واحداً".

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٦٥.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس أبو عمرو كان صغيراً في أحد شهد مع رسول الله سبع عشرة غزوة (ت ٦٦هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٥٦ - ٥٥٨، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦٠ (٢٨٧٣).

(٣) ينظر: الكفاية ص ٢٦٥.

(٤) المقدمة ص ١٠٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٠٥، ابن رجب: شرح العلل ١/ ٤٢٩.

(٦) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٨.

(٧) أشهب بن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكي المصري، تلميذ الإمام مالك (ت ٢٠٤هـ) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨ -٢٣٩ (١٠٠)، ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة مصر ١٣٥١هـ ص ٩٨.

(٨) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٨ -٢٨٩، القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٨.

٢ـ الرواية بالمعنى:

إنّ من كان عالماً عارفاً بالألفاظ وباللغة خبيراً بما يحيل معانيها بصيراً بمقادير التفاوت بينها، قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه وتحققه وعرف القائم من اللفظ مقام غيره، وكان من أهل الدراية والعلم في ذلك يجوز له رواية الحديث بالمعنى.

وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وأكثر السلف، وأصحاب الحديث، وأرباب الأصول، وهو الذي مال إليه الإمامان: الخطيب البغدادي، وابن الصلاح الشهرزوري[١].

وقد مثل له الخطيب، وقال[٢]:

"وذلك يجوز نحو أن يبدل قوله قام، بنهض، وقال، بتكلم، وجلس، بقعد، وعرف، بعلم، واستطاع، بقدر، وأراد، بقصد، وأوجب بفرض، وحظر بحرم".

- وينبغي لمن يروي الحديث بالمعنى، أن يتبعه بقوله: أو كما قال، أو نحو هذا، وما أشبه ذلك من الألفاظ، روي ذلك عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأنس رضي الله عنهم[٣].

- والدليل على عدم جواز رواية الجاهل بمواقع الخطاب للحديث على المعنى هو:

أنه لا يؤمن عليه إبدال اللفظ بخلافه، بل هو الغالب من أمره[٤].

- والصحابة رضي الله عنهم أرباب اللسان وأعلم الخلق بمعاني كلام رسول الله ﷺ فلا يقاس بهم غيرهم، ممن جاء بعدهم، أو أهل زمننا هذا خاصة[٥].

وقد استدل الخطيب بأدلة كثيرة ومستفيضة على جواز ذلك ومنها:

أ - أحاديث مرفوعة أسندها إلى النبي ﷺ، ومنها حديث ابن مسعود قال:

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٠٠، ابن صلاح: المقدمة ص ١٠٥، وينظر أيضاً: القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٨، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٢٥، ٤٢٨.

(٢) الكفاية ص ١٠٠.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٢٩، وقال بعد أن ذكر ذلك عن كثير من أئمة السلف وحكى ذلك عن أكثر الفقهاء.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٠١.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦.

سأل رجل النبي ﷺ فقال[١]: يا رسول الله ﷺ أنك تحدثنا حديثاً لا نقدر أن نسوقه كما نسمعه فقال:

(إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث).

ب - ومن الأدلة الأخرى يقول[٢]:

"ويدل على ذلك أيضاً اتفاق الأمة على أن للعالم بمعنى خبر النبي ﷺ وللسامع بقوله: أن ينقل معنى خبره بغير لفظه، وغير اللغة العربية، وأن الواجب على رسله وسفرائه إلى أهل اللغات المختلفة من العجم، وغيرهم، أن يرووا عنه ما سمعوه وحملوه، مما أخبرهم به وتعبدهم بفعله على ألسنة رسله، سيما إذا كان السفير يعرف اللغتين، فإنه لا يجوز أن يكل ما يرويه إلى ترجمان وهو يعرف الخطاب بذلك اللسان، لأنه لا يأمن الغلط وقصد التحريف على الترجمان، فيجب أن يرويه بنفسه، وإذا ثبت ذلك صح أن القصد برواية خبره وأمره ونهيه إصابة معناه، وامتثال موجبه، دون إيراد نفس لفظه وصورته، وعلى هذا الوجه لزم العجم وغيرهم من سائر الأمم دعوة الرسول إلى دينه والعلم بأحكامه، ويدل على ذلك أنه إنما ينكر الكذب والتحريف على رسول الله ﷺ وتغيير معنى اللفظ، فإذا سلم راوي الحديث على المعنى من ذلك كان مخبراً بالمعنى المقصود من اللفظ وصادقاً على الرسول ﷺ".

٣ـ اختصار الحديث ورواية بعضه دون بعض:

اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال:

- فمنهم من منع ذلك مطلقاً بناء على القول بالمنع من النقل بالمعنى مطلقاً.

- ومنهم من منع ذلك، مع تجويزه النقل بالمعنى، إذا لم يكن قد رواه على التمام مرة أخرى، ولم يعلم أن غيره قد رواه على التمام.

- ومنهم من جوز ذلك وأطلق ولم يفصل[١].

---

(١) الحديث لم أقف عليه في كتب الحديث المعتمدة وقد رواه الخطيب والآمدي: ينظر: المصدر السابق ص ٣٠٢، الآمدي: علي بن محمد: الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٤هـ ٢/ ١١٦.

(٢) الخطيب: المصدر نفسه ص ٣٠٣ -٣٠٤، وبنظر الأدلة المتنوعة التي استدل بها على ذلك ومناقشة المخالفين: المصدر نفسه ص ٣٠٤ - ٣١٧.

وذهب كثير من أهل العلم إلى جواز النقص دون الزيادة، فقد روي ذلك عن مجاهد، وابن سيرين، وابن معين[٢]. وممن تساهل في النقل والمعنى والاختصار الإمام مسلم[٣].

لكن ابن الصلاح فصل في ذلك وجوزه بشروط:

- ذلك جائز من العالم العارف إذا كان ما تركه متميزاً عما نقله، غير متعلق به، بحيث لا يختل البيان، ولا تختلف الدلالة فيما نقله بترك ما تركه فيصبحان كخبرين منفصلين لا تعلق لأحدهما بالآخر.

- يكون بمقام من العلم والثقة عند الناس بحيث لا يتطرق إليه في ذلك تهمة نقله أولاً تماماً، ثم نقله ناقصاً أو بالعكس وأجاز بعضهم أن من خاف على نفسه التهمة أن يكتم الزيادة ويتركها.

لكن ابن الصلاح لم يجوز ذلك ابتداء لمن كان حاله هكذا[٤].

ضبط اللفظ في الرواية:

بعد أن ذكرنا منهج أئمة الحديث فيما يتعلق باللفظ، من حيث الرواية بها نصا أو بالمعنى أو اختصاره، سنبين فيما يلي منهج من تشدد في الكلمة الواحدة والحرف الواحد، بل في الحركة واللحن مما يدل على سموا أهل الحديث وتطبيقهم قواعد المنهج العلمي السليم فيما يتعلق بالأمانة العلمية في النقل.

١- تشددهم في الكلمة: ولها صورتان:

الصورة الأولى: من لم يجز إبدال كلمة بكلمة:

ذكر الخطيب أن ابن عمر رضي الله عنه: سمع رجلاً يقول:

(مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين[٥] فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على

==

(١) ينظر الأقوال الثلاثة: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٠٦.

(٢) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٩، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٨١.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦ -١٠٧.

(٥) الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت هـ/ /) مصنف عبد الرزاق: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ ١١/ ٤٣٥ (٢٠٩٣٤)، مسند أحمد ٢/ ٨٨ (٥٦١٠) (ط مؤسسة قرطبة - القاهرة).

رسول الله ﷺ إنما قال رسول الله ﷺ[١]:

(مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ أَمْ هَذِهِ)[٢].

وعن الأسود: عن عائشة[٣]:

(أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل فدخل إلى أهله (فَأَلَمَّ بِهِمْ ثم اضطجع) ولم تقل نام، فإذا جاء المؤذن (وَثَبَ) ولم تقل قام (ثم أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ) ولم تقل: اغْتَسَلَ).

الصورة الثانية: من لم يجز تقديم كلمة على كلمة:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[٤]:

(بني الإسلام على خمس، على أن تعبد الله، وتكفر بما دونه، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان).

فقال رجل: تعبد الله، وتكفر بما دونه، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، قال: لا، اجعل صيام رمضان آخرهن كما سمعت من في رسول الله ﷺ).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[٥]:

" قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ أو غِفَارٌ وَأَسْلَمُ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ[٦]. وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ الله وَرَسُولِهِ".

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٢٦٨، ابن عدي: الكامل في الضعفاء ١ / ٣١٠-٣١١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٢٤ و ٦/ ٢٣٩، السيوطي: الدر المنثور، دار الفكر - بيروت ٢ / ٢٣٦.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٨٨ (٥٦١٠)، النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين (ت هـ/ م) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٤/ ٢١٤٦ (٢٧٨٤).

(٣) ينظر أصل الحديث وألفاظه: مسند أحمد ٦ / ١٠٢، البيهقي: السنن الكبرى ١/ ٢٠١ -٢٠٢، الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) مسند الطيالسي، دار المعرفة - بيروت ١/ ١٩٨ (١٣٨٦) واللفظ هذا للطيالسي إلا ألفاظاً يسيرة منه.

(٤) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ١٩٣ (١٣٩٣)، ابن صلاح الشهرزوري: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ص ١٤٦، (شرح صحيح مسلم ١/ ١٧٦) باختلاف يسير أول الحديث.

(٥) ينظر: مسند الإمام أحمد ١٥/ ١٣ (٩٠٣٥) ١٦/ ٨١ (١٠٠٤٠) ٣٦/ ١٨ (٢١٦٨٨) وينظر كذلك الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ٢٧٣.

(٦) قبائل عربية معروفة.

٢ـ تشددهم في الحروف: ولها أربعة صور:

الصورة الأولى: من لم يجز زيادة حرف واحد ولا حذفه وإن كان لا يغير المعنى:

عن عبد الله بن دينار [١] عن ابن عمر: قال: قال رسول الله ﷺ[٢]:

(لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ - يعني حجر ثمود[٣]- إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).

وفي رواية الشيخان [٤]:

(فإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).

وفي رواية الخطيب [٥]:

(لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم أو قال: يصيبكم مثل ما أصابهم).

وعن الأعمش قال:

كان هذا العلم عند أقوام كان احدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوا أو ألفا أو دالا، وأن أحدهم اليوم يحلف على سمكة أنها سمينة وإنها لمهزولة[٦].

الصورة الثانية: من لم يجز إبدال حرف بحرف وإن كانت صورتها واحدة:

كان الإمام مالك رحمه الله يتقي في حديث رسول الله ﷺ الباء والتاء والثاء ويتقي ما بين التي والذي[٧].

عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى حلة (شيراء) قال أبو الأسود[٨]:

---

(١) عبد الله بن دينار العدوي (مولاهم) المدني مولى ابن عمر، الفقيه الإمام الثقة (ت ١٢٧هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٥ -١٢٦ (١١١)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤١٣ (٢٨٤).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٩٢، وهذه الروايات فيها تبديل حرف بحرف، وحرفين بحرفين.

(٣) اسم ديار ثمود، بوادي القرى بين المدينة والشام، ينظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢١ (حجر).

(٤) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ١١٩ (١٢٥٩).

(٥) الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ١٧٧ (تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني).

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٢٧٤

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٥.

(٨) أبو الأسود الديلي أو الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل اسمه عمرو بن عثمان تابعي ثقة على الصحيح

هكذا قال نافع (شيراء)و غيره يقول: (سيراء) قال أبو الأسود:

والسيراء، صنف من الحرير قد أدركت من المشايخ من يلبسه... فقال:

يا رسول الله ابتع هذه الحلة فتلبسها يوم الجمعة، وإذا جاء الوفد فقال رسول الله ﷺ[١]:

(إنما يَلْبَسُ هذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ).

الصورة الثالثة: من لم يجز تقديم حرف على حرف:

ومثال ذلك حديث أبي مسعود[٢]: أن رسول الله ﷺ قال[٣]:

(لا تزجي صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود)[٤].

قال سفيان: هكذا قال الأعمش: لا تزجي، يريد لا تجزي).

الصورة الرابعة: من لم يجز تخفيف حرف ثقيل وبالعكس ولو كان المعنى واحداً:

عن أم كلثوم بنت عقبة[٥] قالت: قال رسول الله ﷺ[٦]:

==

وقيل صحابي (ت ٦٩هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٤١ (٤٣٢٩)، تهذيب التهذيب ١٢/ ١٠ - ١١(٥٢) الخزرجي: خلاصة التذهيب:ص٤٤٣.

(١) مسند أحمد ٢/ ٢٠، الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٦١ (٧٩) النسائي: السنن ٣/ ٩٦، ١٠٣، ١٨١ و٨/ ١٩٨، ٣/ ٩٦، ١٨١ و٨/ ١٩٨.

(٢) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري أبو مسعود البدري شهد العقبة توفي بعد سنة الأربعين، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٩٠ -٤٩١ (٥٦٠٦).

(٣) الكفاية ص ٢٧٧.

(٤) ينظر أصل الحديث الترمذي: السنن ٢/ ٥١-٥٢ (٢٦٥) النسائي: السنن ٢/ ١٨٣، ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١هـ -٩٢٤م، صحيح ابن خزيمة، تحقيق:محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ١/ ٣٣٣، ٦٦٦.

(٥) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، من أوائل المسلمات والمبايعات لم أقف على وفاتها، ينظر المصدران السابقان: الاستيعاب ٤/ ٤٨٨ -٤٨٩، الإصابة ٤/ ٤٩١ (١٤٧٥).

(٦) أصل الحديث:

(لَيْسَ الْكَذَّابُ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خيراً أو نَمَى خيراً وَقَالَ مَرَّةً وَنَمَى خيراً) بعدة ألفاظ:

مسند أحمد ٤٥/ ٢٤٣ (٢٧٢٧٣) ٤٥/ ٢٤٨ (٢٧٢٧٧) ٤٥/ ٢٤٩ (٢٧٢٧٩)، البغوي: حسين بن مسعود الفراء أبو محمد (ت ٥١٠هـ-١١١٧م) شرح السنة، المكتب الإسلامي - بيروت ١/ ٥٩٧.

(ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً، أو نمى خيراً).

قال حماد: سمعت هذا الحديث من رجلين، فقال أحدهما، نمى خيراً خفيفة، وقال الآخر: نمّى خيراً مثقلة)[١].

٣ـ من لم يجز تغيير الحركات:

بعض رواة الحديث ذهبوا إلى عدم تغير الحركة من نصب إلى رفع وبالعكس قال نافع: أن عبد الله بن عمر أخبره:

أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن والجريد، وعَمَده.

- قال مجاهد وعمده - خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده - قال مجاهد عُمُده - خشباً، وغيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة[٢].

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو، قال: كان على ثقل[٣] النبي: رجل يقال له (كِركِرة)[٤] فمات، فقال رسول الله ﷺ:

(هو في النار)[٥].

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٧٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٩، وهذا من باب الأمانة العلمية في النقل، وإلا كان كثير من أئمة المسلمين من أهل الحديث يصلحون الإعراب واللحن ويأمرون بأحكام ذلك، وهو واجب أحياناً لفهم مراد الشارع فقد كان الأوزاعي يعطي كتبه إذا كان فيها لحن لمن يصلحها، وكان ابن المبارك يقول: إذا سمعتم عني الحديث فاعرضوه على أصحاب العربية ثم أحكموه، وعن الأصمعي قال: كنت في مجلس شعبة فقال (فيسمعون جرش طير الجنة) فقلت (جرس) فنظر إليّ فقال خذوها عنه، فإنه أعلم بهذا منا، ينظر: المصدر نفسه ص٣٧٤ -٣٧٥ وينظر النص والحديث العسكري: حسن بن عبد الله بن سعد (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م) تصحيفات المحدثين، تحقيق محمود أحمد ميرة، الطبعة الأولى، المكتبة الحديثة - القاهرة ١٤٠٢هـ ١/ ٣٢ - ٣٣، ابن كثير: التفسير ٤/ ٣٨٩.

(٣) الثقل: متاع السفر، ينظر: مختار الصحاح ص ٨٥ (ث ق ل).

(٤) هو مولى رسول الله وكان نوبياً، أهداه له هودة بن علي اليمامي، مات في عهد النبي، ينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٧- ١٨٨، الإصابة ٣/ ٢٩٣ (٧٤٠٠).

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ٦/ ١٨٧).

فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها.

قال أبو عبد الله البخاري قال ابن سلام[١]: (كَركَرة)[٢].

ومن ذلك قوله رسول الله ﷺ[٣]:

(ذَكَاةُ الجنين ذكاةُ أُمِّه).

فقرأ بعضهم (ذكاةُ) بالفتح[٤]، وآخرون بالرفع[٥].

٤ـ من لم يجز تغيير اللحن:

وممن كان معروفاً بذلك يلحن في الحديث اقتداء بما سمع أبو معمر[٦]، والقاسم[٧] بن محمد، ورجاء بن حيوة[٨]، ومحمد بن سيرين، ونافع، وإسماعيل بن أبي خالد الأحمس، وسفيان ومالك بن أنس وغيرهم[٩].

عن أبي معمر: إني لأسمع الحديث لحناً فألحن إتباعاً لما سمعت[١٠]، قال النسائي[١١]: (لا

---

(١) محمد بن سلام أبو عبد الله البيكندي الحافظ الثقة محدث بخارى وشيخ البخاري، الرحال الجوال (ت ٢٢٥هـ وقيل ٢٢٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٢ (٤٢٧)، تقريب التهذيب ٢/ ١٦٨ (٢٩٣).

(٢) ينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٧ -١٨٨.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٣٩، المستدرك ٤/ ١٢٧ (٧١٠٨).

(٤) وأحيانا قد يؤدي هذا التغيير بالحركات إلى تباين وجهة نظر الفقهاء فمثلاً هذا الحديث رجح الحنفية فتح (ذكاة) الثانية على مذهبها في أنه يذكى مثل ذكاة أمه، ورجح المالكية والشافعية بالرفع (ذكاة) الثانية باعتبارها خبر المبتدأ فيختلف الحكم، وأسقطوا ذكاته. ينظر: القاضي عياض: الإلماع ص ١٥٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٥٠، وينظر حول ذلك أيضاً: الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٣٦٧ -٣٦٨.

(٦) لعله عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج التيمي أبو معمر المنقري، ثقة ثبت (ت ٢٢٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٩٣ -٤٩٤ (٥٠٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤٣٦ (٥٠١).

(٧) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ ثقة أحد فقهاء المدينة (ت١٠٦هـ) على الصحيح، ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ٩٦ -٩٧ (٨٨)، ٢/ ١٢٠ (٢٨).

(٨) رجاء بن حيوة أبو النصر الشامي الإمام الفقيه الثقة (ت ١١٢هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ١١٨ (١٠٣)، ١/ ٢٤٨ (٦٩).

(٩) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٤ -٢٨٦

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٨٥.

(١١) المصدر نفسه ص٢٨٦.

يعاب اللحن على المحدثين وقد كان إسماعيل بن أبي خالد يلحن، وسفيان، ومالك بن أنس وغيرهم من المحدثين).

ومثال ذلك:

عن الحسن عبد الرحمن بن خلاد[١] قال: كنا عند عبد الله[٢] بن أحمد بن موسى عبدان وهو يحدثنا وأبو العباس بن سريج حاضر فقال عبدان[٣]:

(مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يَجِبْ فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ[٤]، ففتح الياء من قوله: يَجب، فقال له ابن سريج: إني رأيت أن تقول: يُجب - بضم الياء - فأبى عبدان أن يقول، وعجب من صواب ابن سريج، كما عجب سريج من خطئه).

---

(١) هو الرامهرمزي.

(٢) أبو محمد الجواليقي، صاحب التصانيف، الإمام الحافظ، صدوق (ت ٣٠٦هـ) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٨ -٦٨٩ (٧٠٩)، ابن عماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٤٩.

(٣) الكفاية ص ٢٨٧.

(٤) رواه أبو داود، وابن عدي، والبيهقي، والمنذري: ينظر: السنن ٣ / ٣٤٠ (٣٧٤١)، الكامل في الضعفاء ١ / ٣٨٠، السنن الكبرى ٧ / ٦٨، المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤/ ٢٠٥ (٣١٢٦).